ذ

التبيان في
حقيقة العمل
وعلاقته بمسمى الإيمان

. استلَّه وجمعه وآلفه /
. أبوعبد الرحمن أيمن إسماعيل
غفرالله له
ولوالديه ولسائر المسلمين

.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

....- إنَّ الحمد لله تعالى نحمده ، و نستعينه و نستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ } [آل عمران: 102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [النساء: 1]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [الأحزاب : 70 ، 71]

أما بعد :

فإن خير الكلام كلام الله ، و خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، و شر الأمور محدثاتها ، و كل محدثةٍ بدعة ، وكل بدعةٍ ضلالة ، وكل ضلالةٍ في النار.

أما بعد .....فإنَّ علاقة الإيمان بالأعمال مسألة عظيمة جليلة قررها علماء أهل السنة والجماعة أخذاً من كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم -، ودين الإسلام لا يقوم على الدعاوى المجردة عن تصديقها بالأفعال ، يقول تعالى : (لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (123) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (124) وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (125)))(النساء:123-125(

**** قال الآجري :بعد ذكره أن الله تعالى لم يدخل المؤمنين الجنة بالإيمان وحده حتى ضم إليه العمل الصالح*** **:"واعلموا – رحمنا الله وإياكم – أني قد تصفحت القرآن فوجدت ما ذكرته في شبيه من خمسين موضعاً من كتاب الله تعالى ، أن الله تبارك وتعالى لم يدخل المؤمنين الجنة بالإيمان وحده ، بل أدخلهم الجنة برحمته إياهم ، وبما وفقهم له من الإيمان والعمل الصالح ... ميِّزوا – رحمكم الله – قول مولاكم الكريم : هل ذكر الإيمان في موضع واحد من القرآن ، إلا وقد قرن إليه العمل الصالح ؟ ... فيما ذكرته مقنع لمن أراد الله عزوجل به الخير، فعلم أنه لا يتم له الإيمان إلا بالعمل ، هذا هو الدين الذي قال الله "" وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء**

ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة (البينة:5) [1]

***وقال ابن بطة -:" فقد أخبر الله تعالى في كتابه في آي كثيرة منه أن هذا الإيمان لا يكون إلا بالعمل وأداء الفرائض بالقلوب والجوارح ، وبين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرحه في سنته وأعلمه أمته. وكان مما قال الله تعالى في كتابه ، مما أعلمنا أن الإيمان هو العمل وأن العمل من الإيمان ، ما قاله في سورة البقرة (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وءاتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وءاتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صــدقوا وأولئــك هـم المتقون((البقرة:177)، فانتظمت هذه الآية أوصاف الإيمان وشرائطه من القول والعمل والإخلاص. ولقد سأل أبو ذر- رضي الله عنه - النبي -صلى الله عليه وسلم - عن الإيمان ، فقرأ عليه هذه الآية [2].**

إن الكلام فى مسألة الإيمان له شأنه وخطورته، ثم هو ليس كالكلام فى غيرها من مسائل الدين؛وذلك بأنَّ الغلط فيها غلط فى أصل الدين ، ولذلك كانت أول بدعة نجمت

---

[1] **وانظر الشريعة (1/277)**

[2] **وانظر الإبانة (2/ 771)وهذا الأثر الذي ذكره ابن بطة قد أخرجه الحاكم ، وقال الذهبي : منقطع .**

فى الإسلام هى بدعة الخوارج- الذين حذر منهم الرسول صلى الله عليه وسلم.
*وأصل غلط الخوارج إنما كان فى غلوهم فى نفى الإيمان عن أهل الكبائر حتى كفَّروا أهل الإسلام واستباحوا دمائهم،بل وكفَّروا أصحاب الرسول -صلى الله عليه وسلم- وسفكوا دماءهم،وهم فى ذلك كله يرون أنفسهم على الحق والدين.
ويأتى على الجانب الآخر فرقة أخرى لا تقل خطورة عن الخوارج ، وهى فرقة المرجئة الذين غالوا فى إثبات إيمان عصاة أهل الكبائر،وقالوا بأن إيمان أفجر الأمة كإيمان أبى بكر وعمر.
- ولأهمية هذا الموضوع فلقد اهتم به أئمة السلف فى القديم والحديث.
فلقد افتتح الإمام مسلم- رحمه الله- صحيحه بكتاب الإيمان،وكذا ساقه البخارى فى الكتاب الثانى من صحيحه بعد كتاب بدء الوحى،وكذلك أفرده الأئمة بالتصنيف فيه ،ومن هؤلاء أبوعبيد القاسم بن سلام وأحمد بن حنبل وابن أبى شيبة بو يعلى والطحاوى وابن منده وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم [3] .

***** ولقد استفدت كثيراً في هذا البحث من عدة مراجع في هذا الموضوع المهم ، فجزى الله – تعالى – أصحاب هذه المصنفات ونفعنا الله –تعالى - بعلمهم. .**

<u>** ومن هذه المراجع :</u>

[3] انظر درء الفتنة عن أهل السنة(ص /33)

ذ

1- درء الفتنة عن أهل السنة /د/ بكر أبو زيد.
2- الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل/ محمود بن محمد آل خضير.
3- براءة أهل الحديث والسنة من بدعة الإرجاء /محمد بن سعيد الكثيري.
4- كتاب السنة للبربهارى/ شرح محمد عمرو عبد المنعم.
5- حقيقة الإيمان وبدع الإرجاء : د /سعد بن ناصر الشثرى.
6- أقوال ذوى العرفان أن عمل الجوارح من الإيمان / عصام بن عبد الله السناني .
7- نواقض الإيمان القولية والعملية / د. عبد العزيز بن محمد بن عبد اللطيف .8- مجموع رسائل في مسائل الإيمان / لابن أبي عمر العدني وأبي يعلى ولأبي عبيد القاسم بن سلام وابن أبي شيبة .

فنسأل الله تعالى أن يجعل ما نسطِّره خالصاً لوجه الله - تعالى - ،وأن لا يجعل لأحد فيه شيئاً.

ونشكر كل أخٍ كريمٍ جوادٍ دعا الله لنا بظهر الغيب إذا انتفع بما نسطره ،أو أرشدنا إلى خطأ وقعنا فيه فيما نحرره، فما هذا إلا عمل بشرى يعتريه النقص و الخطأ و يجرى عليه ما ذكره الله تعالى بقوله: " و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً."و يجرى عليه القلم الذى سطَّره النبى -صلى الله عليه وسلم- بقوله :- " كل ابن آدم خطّاء."

اللهم صل على النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

ذ

.

<u>أولاً- حقيقة الإيمان فى النصوص الشرعية:-</u>

ورد لفظ الإيمان ومشتقاته فى القرآن الكريم أكثر من ثمانمائة مرة ، كما ورد فى السنة أضعاف ذلك.

والقاعدة فى ذلك أنَّ " ***ألفاظ النصوص الشرعية تُفسر بحسب اصطلاح الشرع أولاً، فإن لم يكن لها اصطلاح فيه رجع للغة ،وإلا رجع للعرف***".

ولمَّا كان اسم الإيمان من أعظم الأسماء التى وردت فى الشرع ؛ لعظم الأحكام المرتبة عليه في الدنيا والآخرة، فلا شك أنَّ الحاجة لبيانه أعظم من الحاجة لبيان غيره من الألفاظ ؛ لذا فإنَّ النبى - صلى الله عليه وسلم - قد بيَّن المراد بهذا اللفظ بياناً شافياً كافياً لا يحتاج معه إلى الرجوع إلى شواهد استعمال العرب وعقول الناس .

*** **ولبيان ذلك نقول** : النصوص الشرعية التي ورد فيها لفظ الإيمان على أقسام :

<u>1- القسم الأول:</u> إطلاق الإيمان بحسب الأمور الظاهرة :

فيشمل على المؤمن الذى فعل الفرائض وترك المحرمات وعلى المنافق الذى لم يُعلم نفاقه ، ومن النصوص التى استخدمت لفظ الإيمان بحسب هذا المعنى قوله تعالى (**وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ**) **(النساء،92)**

وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ

الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ)(الممتحنة،10)

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : (أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ،فمن ترك دينا فعليَّ ، ومن ترك مالاً فلورثته) [4]

هذا المعنى هو الذى به تتعلق الأحكام الدنيوية من الحقوق والحدود وحقن الدماء والمال والمواريث ونحو ذلك من الأحكام .

2- النوع الثاني :-

استعمال لفظ الإيمان فى الإيمان المطلق ، بحيث لا يدخل معه إلا من كان مؤمناً ، فعل الواجبات وترك المحرمات، وهذا هو الذى يُعلَّق عليه المدح والثواب الأخروى، كما يظهر ذلك في قوله تعالى (**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ) (يونس /2) وقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (البينة /7)** (التوبة/72) **وقوله تعالى (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ)** (غافر/ 51)

- ومنه قول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ [5] .

---

[4] أخرجه أحمد وصححه الألباني .

[5] متفق عليه.

حقيقة الإيمان:-

الإيمان لغة- مصدر آمن يؤمن إيماناً ؛ فهو مؤمن، ومعنى الإيمان عند العرب: التصديق، فيُدْعَى المصدِّق بالشيء قولاً مؤمنًا به، ويُدْعى المصدِّق قولَه بفِعْله مؤمنًا. ومن ذلك قول الله جل ثناؤه:(وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) **[سورة يوسف: 17]** يعني: وما أنت بمصدِّق لنا في قولنا. و تدخل الخشية لله في معنى الإيمان، الذي هو تصديق القولِ بالعمل. والإيمان كلمة جامعةٌ للإقرار بالله وكتُبه ورسلِه، وتصديق الإقرارِ بالفعل [6] .

***** والإيمان يكون متعدياً بنفسه ومتعدياً بغيره :**

1**- بنفسه :** يقال آمنته أى جعلت له الأمن، وهو التأمين من الخوف، قال الله تعالى: (لِإِيلافِ قُرَيْشٍ * إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ * وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما توعد) [7] .

ومنه اسم المؤمن لله عز وجل ؛ لأنه يؤمن عباده من الخوف والفزع يوم القيامة، كما قال تعالى: {وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ} [النمل:89]، فهذا هو مقتضى اسم الله المؤمن.

2- **يتعدى بالباء** : فيكون معناه: التصديق، فتقول: آمنت بالله أو آمنت برسول الله، قال الله تعالى: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ

---

[6] وانظر **جامع البيان في تأويل القرآن**(1/235)

[7] أخرجه مسلم (6629)

وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ} **[البقرة: 136]** إلى آخر الآيات.
ولما جاء الرجل يستنصح النبي -صلى الله عليه وسلم –قال: (قل: آمنت بالله ثم استقم) [8]

3 - **ويتعدى باللام،** ويكون معناه: الاتباع والانقياد والإذعان، قال الله تعالى: {فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ} **[العنكبوت:26]،** فجاء بمعنى الاتباع، فلم يتبع أحد إبراهيم -عليه السلام -في دعوته إلا لوط عليه السلام ، فيقال آمنت لله أي: أذعنت وخضعت وانقدت لأحكام الله ولأوامره.
* **وعليه :**فالإيمان ليس قاصراًعلى التصديق فحسب ، بل يشمل على معنى التصديق والإقرار والانقياد .[9]

---

[8] أخرجه مسلم
[9] وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية على من جعل الإيمان مجرد التصديق من ستة عشر وجهاً فى كتاب الإيمان(ص/99) ومجموع الفتاوى(7/122) **ومفاد ذلك أن** من حصر الإيمان فى التصديق فقوله مردود من وجوه حيث أن الإيمان يقابله الكفر والتصديق يقابله التكذيب، والكفر يكون بالتكذيب وغيره ،كما سيأتي ذكره .
- كما أن الإيمان لا يفيد معنى التصديق إلا إذا عدِّى باللام (آمن له) (وما أنت بمؤمن لنا) وقد ورد لفظ الإيمان متعدياً بـ (اللام/الباء / وبنفسه) ،فدل أن لفظ الإيمان أوسع دائرة من لفظ التصديق = =ولو سلمنا أن الإيمان هو التصديق فحسب، فإن التصديق لغة يشمل الأفعال كما فى الحديث(العينان تزنى...........والفرج يصدق ذلك أو يكذبه)
- ولو سلمنا أن الإيمان هو التصديق لغة فإن قول الشرع مقدم على اللغة حال التعارض والشرع قد أوسع دائرة الإيمان فجعل فيها تصديق الجنان وقول اللسان وعمل الأركان ،ونظيره.
لفظ الصلاة لغة – هى الدعاء،ولكن زادها الشرع بإلزام الركوع والسجود فيها مع القراءة..
وانظر المسائل العقدية التى حكى فيها ابن تيمية الإجماع (ص/517) وحقيقة الإيمان وبدع الإرجاء(56)

ذ

- تعريفه اصطلاحاً:- هو قول وعمل ونية واعتقاد،هذا فى الجملة ؛ فإنَّ ألفاظ السلف تنوعت فى تفسير الإيمان،وإن كان مقصودهم واحداً.

قال شيخ الإسلام :

وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ مَنْ قَالَ مِنْ السَّلَفِ : الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ أَرَادَ قَوْلَ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَعَمَلَ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ ؛ وَمَنْ أَرَادَ الِاعْتِقَادَ رَأَى أَنَّ لَفْظَ الْقَوْلِ لَا يُفْهَمُ مِنْهُ إلَّا الْقَوْلُ الظَّاهِرُ أَوْ خَافَ ذَلِكَ فَزَادَ الِاعْتِقَادُ بِالْقَلْبِ ، وَمَنْ قَالَ : قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ قَالَ : الْقَوْلُ يَتَنَاوَلُ الِاعْتِقَادَ وَقَوْلَ اللِّسَانِ وَأَمَّا الْعَمَلُ فَقَدْ لَا يُفْهَمُ مِنْهُ النِّيَّةُ فَزَادَ ذَلِكَ وَمَنْ زَادَ اتِّبَاعَ السُّنَّةِ فَلِأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ لَا يَكُونُ مَحْبُوبًا لِلَّهِ إلَّا بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ ، وَأُولَئِكَ لَمْ يُرِيدُوا كُلَّ قَوْلٍ وَعَمَلٍ إنَّمَا أَرَادُوا مَا كَانَ مَشْرُوعًا مِنْ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ ، وَلَكِنْ كَانَ مَقْصُودُهُمْ الرَّدَّ عَلَى " الْمُرْجِئَةِ " الَّذِينَ جَعَلُوهُ قَوْلًا فَقَطْ فَقَالُوا : بَلْ هُوَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ ، وَالَّذِينَ جَعَلُوهُ " أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ " فَسَّرُوا مُرَادَهُمْ ، كَمَا سُئِلَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التستري عَنْ الْإِيمَانِ مَا هُوَ ؟ فَقَالَ : قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ وَسُنَّةٌ ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ إذَا كَانَ قَوْلًا بِلَا عَمَلٍ فَهُوَ كُفْرٌ وَإِذَا كَانَ قَوْلًا وَعَمَلًا بِلَا نِيَّةٍ فَهُوَ نِفَاقٌ ، وَإِذَا كَانَ قَوْلًا وَعَمَلًا وَنِيَّةً بِلَا سُنَّةٍ فَهُوَ بِدْعَةٌ [10] .

ومما سبق يتبين أنَّ الإيمان لا يقتصر على معنى التصديق فحسب ؛ فهو التصديق المقرون بالانقياد والإذعان، فالتصديق المقرون بالانقياد والإذعان، فيه دلالة على أن من وقر في قلبه إيمان فلا بد أن يتضح على ظاهره.

[10] وانظر مجموع الفتاوى (7/170)و الإيمان(ص/137)ودرء الفتنة عن أهل السنة(ص/31)

<u>أولاً أدلة الكتاب والسنة على أركان الإيمان وأحكامه:</u>

الإيمان حقيقة مركبة من أربعة أجزاء : قول ظاهر وباطن وعمل ظاهر وباطن ،فهو قول وعمل ، وهذا يعنى أمرين لا نزاع فيهما عند أهل السنة:

(1) لا يجزىء القول من دون العمل ، وهذا بإجماع أئمة السلف. (2) أن الكفر يكون بالقول والعمل ، كما يكون بالاعتقاد والترك.

فالإيمان قول وعمل ونية ، ***أما قول القلب***: فهو تصديقه وإقراره ويقينه ومعرفته . ***أما عمل القلب*** : فهو تحركه وارادته ، مثل الإخلاص والتوكل والرجاء والخوف والوجل والمحبة .

**** والفرق بينهما**:

أن أقوال القلب هى العقائد التى يعترف بها ويعتقدها ، وأما أعمال القلب فهى حركته التى يحبها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وهى محبة الخير وإرادته الجازمة ، وكراهية الشر والعزم على تركه .

_ **وأما قول اللسان** : فهو الإقرار بالله وبما جاء من عنده والشهادة لله بالتوحيد ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - بالرسالة ولجميع الأنبياء والرسل . *** ***وأدلة ذلك فيما يلى:***

<u>1- قول القلب</u>:

والمراد بقول القلب هو إقراره وتصديقه وإيقانه ومعرفته ، **فَهُوَ التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ بِاَللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَدْخُلُ فِيهِ الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ**

ذ

الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [11] .

. .

***** الأدلة أنَّ قول القلب من الإيمان :***

1- قال تعالى (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)**(المنافقون/1)**

فقد أثبت عليهم حكم النفاق ونفى عنهم الإيمان ؛ وذلك لانتفاء قول القلب ، والذي هو الإقرار والتصديق . وفي الآية دلالة أن الشهادة ليست قاصرة على قول اللسان ، بل يدخل فيها قول القلب ،وإن كان الإسلام في الظاهر يكفي فيه نطق الشهادتين .

2- ***قول الله عز وجل : (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ)(الحجرات /7) ووجه الدلالة*** : أنه لما كانت المعاصي بعضها كفراً وبعضها ليس بكفر ، فرَّق بينهما فجعلها ثلاثة أنواع ، كفر و فسوق وعصيان ، ولما كانت الطاعات كلها داخلة في الإيمان ، لم يفرِّق بينهما فيقول : حبب الإيمان والفرائض وسائر الطاعات ، بل أجمل ذلك فقال : (حبب إليكم الإيمان) فدخل في ذلك جميع الطاعات

3- و قوله تعالى)**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ (**(الحجرات/ 14)**

4 -قال تعالى (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ

---

[11] مجموع الفتاوى (7/672)

صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)
(النحل/106)
5- قوله صلى الله عليه وسلم كما في حديث حديث جبريل
: **الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَلِقَائِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ**[12].
6- عَنْ ابن مسعود- رضي الله عنه- قَالَ: سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنِ الرَّجُلِ يَجِدُ الشَّيْءَ لَوْ خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفَهُ الطَّيْرُ كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ذاك صريح الإيمان)[13] .
فدل أن دفع تلك الوساوس بما تركز في القلب من اليقين ، فهذا هو صريح الإيمان .
قال شيخ الإسلام :
والمؤمن يبتلى بوساوس الشيطان، وبوساوس الكفر التي يضيق بها صدره، كما قالت الصحابة: يا رسول الله، إن أحدنا ليجد في نفسه ما لئن يَخرَّ من السماء إلى الأرض، أحب إليه من أن يتكلم به. فقال: " ذاك صريح الإيمان "، وفي رواية: ما يتعاظم أن يتكلم به. قال: " الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة " أي: حصول هذا الوسواس، مع هذه الكراهة العظيمة له، ودفعه عن القلب، هوصريح الإيمان، كالمجاهد الذي جاءه العدو، فدافعه حتى غلبه، فهذا أعظم الجهاد، والصريح الخالص، كاللبن الصريح. وإنما صار صريحاً، لما كرهوا تلك الوساوس الشيطانية، ودفعوها فخلص الإيمان فصار صريحاً [14].

---

[12] متفق عليه
[13] أخرجه مسلم وأبوداود.
[14] الإيمان (1/222)

6 -قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأبي هريرة:
"اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة ".[15]
***قال شيخ الإسلام** : فَمُجَرَّدُ عِلْمِ الْقَلْبِ بِالْحَقِّ إنْ لَمْ يَقْتَرِنْ بِهِ عَمَلُ الْقَلْبِ بِمُوجَبِ عِلْمِهِ مِثْلُ مَحَبَّةِ الْقَلْبِ لَهُ وَاتِّبَاعِ الْقَلْبِ لَهُ لَمْ يَنْفَعْ صَاحِبَهُ ، بَلْ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ . ا.هـ [16].

***** ثانياً : قول اللسان:-***

وهو النطق بالشهادتين: ***لا إله إلا الله محمد رسول الله***.

- ومن الأدلة اشتراط قول اللسان قوله تعالى(**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**)(البقرة/136) *وقال تعالى (**قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**) **(آل عمران/84)**

***وعن أبي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه -قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ » .**

[15] أخرجه مسلم (156)
[16] مجموع الفتاوى(10/271)

***وعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنه-أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : قَالَ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ [17] .**

- **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** : وَبِهَذَا تَعْرِفُ أَنَّ مَنْ آمَنَ قَلْبُهُ إيمَانًا جَازِمًا امْتَنَعَ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ بِالشَّهَادَتَيْنِ مَعَ الْقُدْرَةِ فَعَدَمُ الشَّهَادَتَيْنِ مَعَ الْقُدْرَةِ مُسْتَلْزَمٌ انْتِفَاءَ الْإِيمَانِ الْقَلْبِيِّ التَّامّ . ا.هـ [18]

وقال رحمه الله : فَأَمَّا " الشَّهَادَتَانِ " إذَا لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِمَا مَعَ الْقُدْرَةِ فَهُوَ كَافِرٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ كَافِرٌ بَاطِنًا وَظَاهِرًا عِنْدَ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا وَجَمَاهِيرِ عُلَمَائِهَا **[19]** .

- فهذا إجماع العلماءعلى ثبوت حكم الكفر لمن ترك نطق الشهادتين مع القدرة .

- وكذلك أجمع العلماء على ثبوت حكم الإسلام للكافرإذا نطق الشهادتين ، نقل هذا الإجماع غير واحد من أهل العلم ، كابن القيم وابن حزم .

---

[17] متفق عليه

[18] مجموع الفتاوى(7/553)

[19] مجموع الفتاوى(7/609) **أما في حال الإكراه فيقول شيخ الإسلام :فعلِمَ أَنَّ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِالْإِيمَانِ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ لَا يَكُونُ قَلْبُهُ مُؤْمِنًا ، حَتَّى إنَّ الْمُكْرَهَ إذَا كَانَ فِي إظْهَارِ الْإِيمَانِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَكَلَّمَ مَعَ نَفْسِهِ وَفِي السِّرِّ مَعَ مَنْ يَأْمَنُ إلَيْهِ وَلَا بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ عَلَى صَفَحَاتِ وَجْهِهِ وَفَلَتَاتِ لِسَانِهِ كَمَا قَالَ عُثْمَانُ . وَأَمَّا إذَا لَمْ يَظْهَرُ أَثَرُ ذَلِكَ لَا بِقَوْلِهِ وَلَا بِفِعْلِهِ قَطُّ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْقَلْبِ إيمَانٌ . وَذَلِكَ أَنَّ الْجَسَدَ تَابِعٌ لِلْقَلْبِ فَلَا يَسْتَقِرُّ شَيْءٌ فِي الْقَلْبِ إلَّا ظَهَرَ مُوجَبُهُ وَمُقْتَضَاهُ عَلَى الْبَدَنِ وَلَوْ بِوَجْهِ مِنْ الْوُجُوهِ وَإِنْ لَمْ يَظْهَرْ كُلُّ مُوجَبِهِ لِمُعَارِضٍ فَالْمُقْتَضِي لِظُهُورِ مُوجَبِهِ قَائِمٌ ؛ وَالْمُعَارِضُ لَا يَكُونُ لَازِمًا لِلْإِنْسَانِ لُزُومَ الْقَلْبِ لَهُ .ا.هـ مجموع الفتاوى (14/121)**

ذ

قال ابن رجب **:ومن المعلوم بالضرورة أنَّ النَّبيَّ - صلى الله عليه وسلم - كان يقبل مِنْ كل منْ جاءه يريدُ الدخولَ في الإسلامِ الشهادتين فقط ، ويَعْصِمُ دَمَه بذلك ، ويجعله مسلماً ، فقد أنكر على أسامة بن زيد قتلَه لمن قال : لا إله إلا الله ، لما رفع عليه السيفَ ، واشتدَّ نكيرُه عليه** [20].

فوائد : هذا العموم الذي ذكره ابن رجب إنما هو فى كل من كان كفره بجحد الوحدانية أو جحد رسالة محمد -صلى الله عليه وسلم- ، وأما مَن كان كفره بغير هذا، فلا يحصل إسلامه إلا بالإقرار بما جحده ،وعلى هذا فمن ارتد بجحود فرض لم يسلم حتى يقر بما جحده ، ويعيد مع ذلك الشهادتين[21] .

2- ليس المقصود بالشهادتين مجرد الإخبار عما فى النفس من العلم والجزم بأن لا إله إلا الله بل لابد أن يكون ذلك على وجه الإنشاء المتضمن الإلتزام والانقياد، ولهذا لم ينفع اليهود وغيرهم اعترافهم بالنبى - صلى الله عليه وسلم – مع قولهم بالتوحيد ؛ لأنَّ ذلك كان على سبيل الإخبار دون الرضا والانقياد للشريعة.

---

[20] وانظر جامع العلوم والحكم(ص/ 228)

[21] وفى هذه القضية التى هى إثبات الحكم بالإسلام بالنطق بالشهادتين نجد فيها طرفين متناقضين ، طرف لا يحكم بالإسلام من نطق الشهادتين حتى يمتحن ويختبر فيهما،إذ الأصل عندهم الحكم بالكفر حتى يثبت خلافه،وطرف يحكم بالإسلام لمن أتى بالشهادتين ، ولو ترك شرائع الإسلام جملة وأتى بما يناقض الإسلام، فهما بدعتان الأولى : بدعة التوقف والتبين ، والثانية : بدعة الإرجاء،وكلاهما مخالف لأصول أهل السنة والجماعة. وانظر الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل(1/55)

ذ

ثالثاً : عمل القلب:

وهو النية والإرادة والخضوع لله ولأمره ، والإخلاص والرغبة والخوف والرهبة والتوكل والحب والرجاء والصبر والرضا .

الأدلة على ذلك: قال تعالى (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ)(**البقرة/165) وقال تعالى** (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) **(الأنفال/2-4) و قال تعالى** (- إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ **(آل عمران/175)-** **وقال تعالى** (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (المائدة/23)

***** ومن السنة :**

- عن أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه -قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً ، أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَوْضَعُهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ ،وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ [22].

- وعن عَبْدِ اللَّهِ بن عمر– رضي الله عنهما - أن رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنْ الْإِيمَانِ[23].

** وعن أنس مَالِكٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -قَالَ :قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَحَتَّى أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ

---

[22] متفق عليه
[23] متفق عليه

يَرْجِعَ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ وَحَتَّى يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا [24] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:ـ

وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ عَامَّةَ فِرَقِ الْأُمَّةِ تُدْخِلُ في الإيمان مَا هُوَ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ حَتَّى عَامَّةِ فِرَقِ الْمُرْجِئَةِ تَقُولُ بِذَلِكَ ا.هـ [25] .

وقال رحمه الله :

إن وُجُوبَ انْقِيَادِ الْقَلْبِ مَعَ مَعْرِفَتِهِ ظَاهِرٌ ثَابِتٌ بِدَلَائِلِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ ، بَلْ ذَلِكَ مَعْلُومٌ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ ا.هـ [26]

فَإِخْرَاجُهُمْ – أي مرجئة الفقهاء - الْعَمَلَ يُشْعِرُ أَنَّهُمْ أَخْرَجُوا أَعْمَالَ الْقُلُوبِ أَيْضًا وَهَذَا بَاطِلٌ قَطْعًا فَإِنَّ مَنْ صَدَّقَ الرَّسُولَ وَأَبْغَضَهُ وَعَادَاهُ بِقَلْبِهِ وَبَدَنِهِ فَهُوَ كَافِرٌ قَطْعًا بِالضَّرُورَةِ ا.هـ [27]

- قال ابن القيم :

الإيمان قول وعمل ،والقول قول القلب واللسان ، والعمل عمل القلب والجوارح، وبيان ذلك أنَّ من عرف الله بقلبه ولم يقر بلسانه لم يكن مؤمنا كما قال عن قوم فرعون {وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم } وكما قال عن قوم عاد وقوم صالح {وعاداً وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين} وقال موسى لفرعون {لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والأرض بصائر} فهؤلاء حصل قول القلب وهو المعرفة والعلم ، ولم يكونوا بذلك مؤمنين ، وكذلك من قال بلسانه ما ليس في قلبه لم يكن بذلك

[24] أخرجه البخاري(6041)
[25] مجموع الفتاوى (7/550)
[26] المصدر السابق(7/398)
[27] المصر السابق (7/556)

مؤمناً، بل كان من المنافقين ، وكذلك من عرف بقلبه وأقر بلسانه لم يكن بمجرد ذلك مؤمناً حتى يأتى بعمل القلب من الحب والبغض والموالاة والمعاداة ، فيحب الله ورسوله ويوالى أولياء الله ويعادى أعداءه ،ويستسلم بقلبه لله وحده ،وينقاد لمتابعة رسوله وطاعته ،والتزام شريعته ظاهراً وباطناً ،وإذا فعل ذلك لم يكف في كمال إيمانه حتى يفعل ما أمر به ، فهذه الأركان الأربعة هى أركان الإيمان التى قام عليها بناؤه ، وهى ترجع إلى علم وعمل . ا.هـ [28] .

- قال ابن القيم :

أهل السنة مجمعون على زوال الإيمان وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب ، وهو محبته وانقياده [29] .

وقد ترجم الإمام البخارى لهذا فقال : بَاب حُبُّ الرَّسُولِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ الْإِيمَانِ ،ثم ذكر حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ : فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ [30] .

****** فوائد :***

الأولى : لا يكفى مجرد الإقرار بكفر أبى لهب مثلاً، بل إن عمل القلب يستلزم بغضه فى الله ، قال تعالى (**لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ)(المجادلة/22).**

الثانية : عمل القلب من أركان الإيمان وبفقده ينعدم الإيمان فى القلب، فإنَّ كفر فرعون ما كان إلا لانتفاء عمل

---

[28] عدة الصابرين(1/109) وبراءة أهل الحديث والسنة من بدعة المرجئة(1/60)

[29] الصلاة (ص/55)

[30] صحيح البخاري (1/23)

ذ

القلب ، بالإضافة الى انتفاء قول اللسان،ومثله كفر أبى طالب ، قال تعالى عن آل فرعون (**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ))(النمل/14)**

وقال – تعالى -عن موسى عليه السلام فى خطابه لفرعون(**قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا) (الإسراء/102)** فلقد أبى فرعون أن ينطق بكلمة التوحيد رغم استيقانه بهذه الكلمة ،ومثله ما كان من كفر إبليس ،فلقد كفر إبليس من باب الكبر والاستكبار على أمر الله تعالى،رغم ما كان عليه من الاعتقاد القلبى بتوحيد الله ، ونطقه بذلك ومن هذا الباب كفر اليهود فكان من باب زوال عمل القلب وهم كما قال الله ***(يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)***

رابعاً :عمل الجوارح:

فعمل الجوارح أصل من أصول الإيمان ،والدليل على ذلك:

قال تعالى (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) (البينة/5) فنص تَعَالَى على أَن عبَادَة الله تَعَالَى فِي حَال إخلاص الدّين لَهُ تَعَالَى وَأقَام الصَّلَاة وإيتاء الزَّكَاة الواردتين فِي الشَّرِيعَة كُله دين الْقيمَة **.**[31]

.* قَالَ تَعَالَى {فَلَا وَرَبك لَا يُؤمنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوك فِيمَا شجر بَينهم ثمَّ لَا يَجدوا فِي أنفسهم حرجاً مِمَّا قضيت ويسلموا تَسْلِيمًا}

[31] الفصل في الملل والأهواء والنحل(3/109)

فنص تَعَالَى وَأقسم بنفسه أَن لَا يكون مُؤمنا إِلَّا بتحكيم النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي كل ماعن ثمَّ يسلم بِقَلْبِه وَلَا يجد فِي نَفسه حرجاً مِمَّا قضى فصح أَن التَّحْكِيم شَيْء غير التَّسْلِيم بِالْقَلْبِ وَأَنه هُوَ الْإِيمَان الَّذِي لَا إِيمَان لمن لم يَأْتِ بِهِ فصح يَقِينا أَن الْإِيمَان اسْم وَاقع على الْأَعْمَال فِي كل مَا فِي الشَّرِيعَة .[32] **وقال تعالى**

(**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) (الحجرات/15)**

وقال تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (البقرة/278)**

وقال تعالى (**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**)(الأنفال/1)

- وقال تعالى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ)(البقرة /143)

والمعنى :لا يضيع صلاتكم ،**وقد ذكر البخاري :بَاب الصَّلَاة مِنْ الْإِيمَانِ ، وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى{ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ }ثم قال – رحمه الله -:يَعْنِي صَلَاتَكُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ.**

***قال ابن حزم* : وَلم يزل أهل الْإِسْلَام قبل الْجَهْمِية والأشعرية والكرامية وَسَائِر المرجئة مُجْمِعِينَ على أَنه تَعَالَى إِنَّمَا عَنى بذلك صلَاتهم إِلَى بَيت الْمُقَدّس ا.هـ .[33]**

وقال أحمد : جعل صلاتهم إيماناً ، فالصلاة من الإيمان [34] .

- قال أبو عبيد القاسم بن

[32] المصدر السابق(3/109)

[33] الفصل في الملل والأهواء والنحل(3/109)

ذ

سلام : وإنما نزلت هذه الآية في الذين توفوا من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم - وهم على الصلاة إلى بيت المقدس ، فأي شاهد يُلتمس على أن الصلاة من الإيمان بعد هذه الآية ؟![35] .

****** يؤيده: أن الشرع نفى الإيمان وأطلق الكفر على من تولى عن الطاعة:***

(6) قال تعالى (وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ) (النور/47) فنفى الإيمان عمَّن تولى عن العمل، وإن كان قد أتى بالقول.

قال شيخ الإسلام : فَعُلِمَ أَنَّ " التَّوَلِّيَ " لَيْسَ هُوَ التَّكْذِيبَ بَلْ هُوَ التَّوَلِّي عَنْ الطَّاعَةِ فَإِنَّ النَّاسَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُصَدِّقُوا الرَّسُولَ فِيمَا أَخْبَرَ وَيُطِيعُوهُ فِيمَا أَمَرَ وَضِدُّ التَّصْدِيقِ التَّكْذِيبُ وَضِدُّ الطَّاعَةِ التَّوَلِّي فَلِهَذَا قَالَ { فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى ، وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى }[36] - وقال تعالى (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) (آل عمران/32) وقال تعالى (فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى (31) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) (القيامة/31_32) وقال تعالى(إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى)(طه/48)

فالتولى ليس هو التكذيب، بل هو التولى عن

---

[34] أخرجه الخلال فى السنة(1034)وسنده صحيح،وانظرالفصل في الملل والأهواء والنحل(3/109)و شرح السنة للبربهارى لعمرو عبد المنعم(ص/149)

[35] الإيمان لأبى عبيد (ص/56)

[36] مجموع الفتاوى (7/142)

الطاعة، فإنه يجب على الناس مع التصديق أن يطيعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أمرهم به. ***ومن السنة***

ما دل أن عمل الجوارح من الإيمان :

قَالَ النبي – صلى الله عليه وسلم : أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصِيَامُ رَمَضَانَ وَأَنْ تُعْطُوا مِنْ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ [37].

- عن ثوبان قال قال رسول الله -صلى الله عليه و سلم -: استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولن يحافظ على الوضوء الا مؤمن [38].

- - وعن **أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَوْضَعُهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ [39].**

- وعن **ابن عباس- رضي الله عنهما-** أنه قال في قوله تعالى :{قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ} قال يقول: لولا إيمانكم.أخبر الله الكفار أنه لا يعبأ بهم، ولولا إيمان المؤمنين لم يعبأ بهم أيضا.

قال ابن حجر : ووجه الدلالة للمصنف –أي البخاري - أن الدعاء عمل ، وقد أطلقه على الإيمان فيصح إطلاق أن الإيمان عمل [40] . :

قال الأوزاعي:

---

[37] متفق عليه،**وترجم له البخارى بقوله :بَاب أَدَاءُ الْخُمُسِ مِنْ الْإِيمَانِ .**

[38] أخرجه أحمد (22432) وابن ماجه(237)وصححه الألباني

[39] متفق عليه

[40] وانظر تفسير الطبري (19/321) فتح الباري (1/49)

اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم. ولا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم القول إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بالنية موافقة للسنة. وكان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل ، فالعمل من الإيمان والإيمان من العمل، وإنما الإيمان اسم جامع كما يجمع هذه إلا الأديان اسمها، ويصدقه العمل ، فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدَّق ذلك بعمله فتلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن قال بلسانه ولم يعرف بقلبه ولم يصدق بعمله لم يقبل منه، وكان في الآخرة من الخاسرين .[41]

قول سفيان الثورى: والإيمان قول وعمل ونية ، يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، ولا يجوز القول إلا بالعمل ، ولا يجوز القول والعمل إلا بالنية ، ولا يجوز القول والعمل والنية إلا بموافقة السنة [42] .

***قال الوليد بن مسلم::* سمعت الأوزاعي ، ومالك بن أنس ، وسعيد بن عبد العزيز ، ينكرون قول من يقول إن الإيمان قول بلا عمل ، ويقولون : « لا إيمان إلا بعمل ، ولا عمل إلا بإيمان »[43] .**

****** الإجماع على أنَّ العمل من الإيمان:***

نقل غير واحد من أهل السنة الإجماع أنَّ الإيمان قول وعمل،منهم الشافعي وإسحاق بن راهويه وأبو زرعة الرازى وأبو حاتم الرازى وابن جرير الطبرى وابن عبد البر والبغوى والبخارى وابن عبد البر وغيرهم .

[41] ابن بطة(2/807) أبو نعيم فى الحلية(3/ 22)

[42] أخرجه اللالكائى(1/305) وصححه الذهبى

[43] المصدر السابق (4/142)وابن جرير فى صحيح السنة(ص/27)

قال شيخ الإسلام :
وَأَجْمَعَ السَّلَفُ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ ، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ قَوْلُ الْقَلْبِ وَعَمَلُ الْقَلْبِ ثُمَّ قَوْلُ اللِّسَانِ وَعَمَلُ الْجَوَارِحِ ا.هـ [44] .

*** وَأَمَّا " أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ " مِنْ الصَّحَابَةِ جَمِيعِهِمْ وَالتَّابِعِينَ وَأَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ وَجَمَاهِيرِ الْفُقَهَاءِ وَالصُّوفِيَّةِ مِثْلِ مَالِكٍ وَالثَّوْرِيِّ وَالْأَوْزَاعِي وَحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ وَغَيْرِهِمْ، وَمُحَقِّقِي أَهْلِ الْكَلَامِ فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ وَالدِّينَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ. هَذَا لَفْظُ السَّلَفِ مِنْ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ وَإِنْ كَانَ قَدْ يَعْنِي بِالْإِيمَانِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ مَا يُغَايِرُ الْعَمَلَ؛ لَكِنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ كُلَّهَا تَدْخُلُ أَيْضًا فِي مُسَمَّى الدِّينِ وَالْإِيمَانِ وَيَدْخُلُ فِي الْقَوْلِ قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَفِي الْعَمَلِ عَمَلُ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ.[45]

قال الشافعى: وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونية ، لا يجزئ واحد من الثلاثة بالآخر ا.هـ [46].

- **وقال البخاري :لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم بالحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر لقيتهم كرَّات قرناً بعد قرن ثم قرناً بعد قرن ، أدركتهم وهم متوافرون فما رأيت واحدا منهم يختلف**

---

[44] مجموع الفتاوى(7/67)

[45] مجموع الفتاوى (12/472)

[46] شرح اعتقاد أهل السنة (4/149)

في هذه الأشياء : أن الدين قول وعمل ؛ وذلك لقول الله : وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة [47]

*** قال ابن بطة : وأي دليل على أن الإيمان قول وعمل ، وأن الصلاة والزكاة من الإيمان يكون أدل من كتاب الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإجماع علماء المسلمين وفقهائهم** [48].

قال أبو عبيد : فالأمر الذي عليه السنة عندنا ما نص عليه علماؤنا مما اقتصصنا في كتابنا هذا أن الإيمان بالنية والقول والعمل جميعاً. [49] **قال محمد بن عبد الوهاب** : فالإيمان بإجماع السلف محله القلب والجوارح جميعاً . ا.هـ [50] .

قال سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : فأهل السنة مجمعون على أنه متى زال عمل القلب فقط ، أو هو مع عمل الجوارح زال الإيمان بكليته ،وإن وجد مجرد التصديق فلا ينفع مجرداً عن عمل القلب والجوارح معاً أو أحدهما ا.هـ [51] .

****قال الشيخ عبد العزيز بن عبدالله آل الشيخ:***

---

[47] أخرجه اللالكائى(1 /317) وانظر درء الفتنة عن أهل السنة(ص/33)

[48] **الإبانة الكبرى (2/218)**

[49] الإيمان لأبي عبيد(ص/56)

[50] فتاوى ومسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب(1/51)

[51] التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب(ص/139)

ذ

والمسلمون فى عهد النبى- صلى الله عليه وسلم -وعهد خلفائه الراشدين كانوا يعتقدون أنَّ الإيمان اعتقاد القلب ونطق اللسان وعمل الجوارح ،وأنَّ الأعمال جزء من الإيمان، فلم يقولوا شرط كمال ، فعبدوا الله على بصيرة.ا.هـ [52].

<u>فائدة:</u> والذى عليه أهل السنة أن العمل الذى هو ركن فى الإيمان إنما هو جنس الأعمال، وليس كل فرد من العمل الظاهر .

وعلى هذا فقد يجتمع عندهم فى الشخص الواحد حسنات وسيئات ،فالقاعدة هنا ***" جنس العمل ركن في الإيمان ، لا آحاده ، إلا بدليل "*** وهذا بخلاف ما عليه المعتزلة والخوارج الذين يرون أنَّ كل فرد من أفراد العمل ركن فى الإيمان، يفقد الإيمان بفقده، لذا فلا يجتمع عندهم فى الشخص الواحد حسنات وسيئات وثواب وعقاب، ومن وقع فى كبيرة فقد خرج من الإيمان.

_ قال ابن تيمية :وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ الشَّخْصُ الْوَاحِدُ يُرْحَمُ وَيُحِبُّ مِنْ وَجْهٍ وَيُعَذَّبُ وَيُبْغَضُ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ وَيُثَابُ مِنْ وَجْهٍ وَيُعَاقَبُ مِنْ وَجْهٍ ، فَإِنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ الشَّخْصَ الْوَاحِدَ يَجْتَمِعُ فِيهِ الْأَمْرَانِ خِلَافًا لِمَا يَزْعُمُهُ الْخَوَارِجُ وَنَحْوُهُمْ مِنْ الْمُعْتَزِلَةِ فَإِنَّ عِنْدَهُمْ أَنَّ مَنْ اسْتَحَقَّ الْعَذَابَ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ لَا يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ فَأَوْجَبُوا خُلُودَ أَهْلِ التَّوْحِيدِ [53] .

---

[52] تقريظ لمفتى عام المملكة رئيس هيئة كبار العلماء على كتاب حقيقة الإيمان(ص/63)

[53] مجموع الفتاوى (15 /294)

ذ

.

قال ابن القيم :

وههنا أصل آخر وهو أن الرجل قد يجتمع فيه كفر وإيمان وشرك وتوحيد وتقوى وفجور ونفاق وإيمان هذا من أعظم اصول أهل السنة ، وخالفهم فيه غيرهم من أهل البدع كالخوارج والمعتزلة والقدرية ، ومسألة خروج أهل الكبائر من النار وتخليدهم فيها مبنية على هذا الأصل . ا.هـ [54].

.

****** فصل في : الإيمان يزيد وينقص ، وأدلة ذلك :***

1- **قال تعالى (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)(فاطر /32)** *

فالآية تضمنت ثلاث درجات :

الأولى : ***وهم من حقق كمال الإيمان المستحب*** ،فهم السابقون بالخيرات الذين أدوا الواجبات والمستحبات ، وتركوا المحرمات والمكروهات وهؤلاء هم المقربون .

الثانية :***من حقق كمال الإيمان الواجب*** :وهم المقتصدون الذين اقتصروا على أداء الواجبات وترك المحرمات،دون أن يزيدوا على ذلك بفعل النوافل ،كما فى حديث (أفلح إن صدق)[55]

---

[54] ذكره في كتاب الصلاة(ص/61)

[55] وهذا الحديث فيه دلالة أن من حقق كمال الإيمان الواجب ،دخل الجنة من أول وهلة ،لذا فقد ترجم القرطبي لهذا الحديث عند شرحه لمسلم بقوله (باب / من اقتصر على فعل ما وجب عليه وترك ماحرم عليه دخل الجنة)

ذ

الثالثة :***من حقق أصل الإيمان*** :وهم الظالمون لأنفسهم هم الذين اجترءوا على المحرمات – دون توبة - وقصَّروا ببعض الواجبات ، مع بقاء أصل الإيمان معهم ،**وهذا على أصح الأقوال في تفسير الظالم لنفسه، والمقتصد والسابق** [56]**.**

قال تعالى (**وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَ**سُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا) **(الأحزاب/22)**و قال تعالى (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا) **(مريم/76)** قال تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)**(الأنفال/2)** قال تعالى (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) **(آل عمران /173)** قال تعالى (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا

---

[56] **فائدة : والواو في(يدخلونها) شاملة للظالم، والمقتصد والسابق على التحقيق. ولذا قال بعض أهل العلم: حق لهذه الواو أن تكتب بماء العينين، فوعده الصادق بجنات عدن لجميع أقسام هذه الأمة، وأولهم الظالم لنفسه يدل على أن هذه الآية من أرجى آيات القرآن، ولم يبق من المسلمين أحد خارج عن الأقسام الثلاثة، فالوعد الصادق بالجنة في الآية شامل لجميع المسلمين ولذا قال بعدها متصلاً بها {وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ} [فاطر:36] إلى قوله: {فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ} [فاطر: 37]،وانظر أضواء البيان (5/490)فائدة :ويُستقى من هذه الآية (درجات الإيمان .**

ذ

ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)**(البقرة/ 260)**

وقال تعالى: { وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فمنهم مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ } .

وهذه الآيات من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص، كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء، بل قد حكى الإجماع على ذلك غير واحد [57] .

ومن السنة :

أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:قَالَ يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَخْرِجُوا مِنْ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ [58] .

**** وعن ابن عباس – رضي الله عنهما -عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال : أوثق عرى الإيمان : الموالاة في الله و المعاداة في الله و الحب في الله و البغض في الله عز و جل .[59].**

**** وعن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ – رضي الله عنه -قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ**

---

[57] انظر تفسير ابن كثير (4/239)

[58] متفق عليه ،وقد بوَّب الإمام البخاري لهذا الحديث بقوله :بَابٌ: تَفَاضُلِ أَهْلِ الإِيمَانِ فِي الأَعْمَالِ.

[59] **أخرجه الطبراني (10378)وصححه الألباني في صحيح الجامع (2539)**

عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ». قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الدِّينَ ».[60].
**** وعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : ما رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ قُلْنَ وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ قُلْنَ بَلَى قَالَ فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ ؟ قُلْنَ بَلَى، قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا .[61] .**
وَفِيهِ بَيَان زِيَادَة الْإِيمَان وَنُقْصَانه ، و أَنَّ النَّقْصَ مِنَ الطَّاعَاتِ نَقْصٌ مِنَ الدِّينِ [62].
***عنْ أَبِى هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ».[63]**
**** وعن رجل من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم -قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم -: ملئ عمار إيماناً إلى مُشَاشه[64] .**
**** عن أَبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ- رضي الله عنه- قال :سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :يَقُولُ مَنْ رَأَى مُنْكَرًا فَغَيَّرَهُ بِيَدِهِ فَقَدْ بَرِئَ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُغَيِّرَهُ بِيَدِهِ فَغَيَّرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ**

---

[60] متفق عليه

[61] متفق عليه ،وقد بوَّب له الترمذي بقوله : بَاب: مَا جَاءَ فِي اسْتِكْمَالِ الْإِيمَانِ وَزِيَادَتِهِ وَنُقْصَانِهِ. ،وقال شيخ الإسلام :جَعَلَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا أَنَّهَا إذَا حَاضَتْ لَا تَصُومُ وَلَا تُصَلِّي ،وَبِهَذَا اسْتَدَلَّ غَيْرُ وَاحِدٍ عَلَى أَنَّهُ يَنْقُصُ ا.هـ مجموع الفتاوى(13/51)

[62] وانظر شرح النووي(2/67) وشرح السنة للبغوي(1/38)

[63] **أخرجه أبو داود(2487) والترمذي (2537)وصححه الألباني ،وقد بوَّب له الترمذي :بَاب مَا جَاءَ فِي اسْتِكْمَالِ الْإِيمَانِ وَزِيَادَتِهِ وَنُقْصَانِهِ .**

[64] **أخرجه النسائي ، والحاكم وصححه الألباني**

ذ

بَرِئَ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُغَيِّرَهُ بِلِسَانِهِ فَغَيَّرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ بَرِئَ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ [65] .

** قال النبي -صلى الله عليه وسلم -: إن العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب منها صقل قلبه، وإن زاد زادت، فذلك قول الله "كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُون[66] .

* وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو- رضي الله عنهما – قال : قال النبي -صلى الله عليه وسلم- : إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب ، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم " [67]

*** **وَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً [68] .**

وكان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يقول لأصحابه : « هلموا نزداد إيماناً ، فيذكرون الله تعالى »[69] . **

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ- رحمه الله- إِلَى عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ : إِنَّ لِلْإِيمَانِ فَرَائِضَ وَشَرَائِعَ وَحُدُودًا وَسُنَنًا فَمَنْ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلْ الْإِيمَانَ [70] .

***** الإجماع على أن الإيمان يزيد وينقص*** :

نقل الإجماع على ذلك ابن عبد البر فى التمهيد وأبو الحسن فى كتابه "رسالة إلى أهل الثغر ، وابن بطة في الإبانة وابن بطال وابن حجر في شرحهما لصحيح البخاري ، ونقله

[65] أخرجه مسلم (186)

[66] ـأخرجه الترمذي وصححه الألباني.

[67] أخرجه الحاكم(1/45)وانظر السلسلة الصحيحة (1585)

[68] أخرجه البخاري معلقاً ،باب الايمان ،ووصله ابن حجر في التغليق ،وصححه .

[69] أخرجه الأجري في الشريعة (1/262) وصححه عمرو عبد المنعم سليم ، وانظر الإيمان لأبي يعلي (ص/430).

[70] أخرجه البخاري معلقاً ،باب الإيمان ،ووصله ابن حجر في التغليق ،وصححه .

البغوى فى شرح السنة عن جمهور الصحابة والتابعين وعلماء السنة .

*** وقال ابن كثير: **فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقادًا وقولا وعملاً ، هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة، بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عُبَيد وغير واحد إجماعًا: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.**[71]

*** قال ابن تيمية :**

وَأَجْمَعَ السَّلَفُ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ قَوْلُ الْقَلْبِ وَعَمَلُ الْقَلْبِ ثُمَّ قَوْلُ اللِّسَانِ وَعَمَلُ الْجَوَارِحِ .ا.هـ [72] .

وقال - رحمه لله - : **زِيَادَةُ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَنَقْصِهَا مَعْلُومٍ بِالذَّوْقِ الَّذِي يَجِدُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ أَنَّ النَّاسَ يَتَفَاضَلُونَ فِي حُبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَخَشْيَةِ اللَّهِ وَالْإِنَابَةِ إلَيْهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالْإِخْلَاصِ لَهُ ، وَفِي سَلَامَةِ الْقُلُوبِ مِنْ الرِّيَاءِ وَالْكِبْرِ وَالْعُجْبِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، وَالرَّحْمَةِ لِلْخَلْقِ وَالنُّصْحِ لَهُمْ مِنْ الْأَخْلَاقِ الْإِيمَانِيَّةِ ا.هـ** [73]

****وقال -ابن حجر - :***

وقد نقل محمد بن نصر المروزي في كتابه " تعظيم قدر الصلاة " عن جماعة من الأئمة نحو ذلك، وما نقل عن السلف صرح به عبد الرزاق في مصنفه عن سفيان الثوري ومالك بن أنس والأوزاعي وابن جريج ومعمر وغيرهم، وهؤلاء فقهاء الأمصار في عصرهم.وكذا نقله أبو القاسم اللالكائي في " كتاب السنة " عن الشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد وغيرهم

---

[71] تفسير القرآن العظيم (1/165)

[72] انظر مجموع الفتاوى (7/672)

[73] وانظر مجموع الفتاوى (7/562)

ذ

من الأئمة، وروى بسنده الصحيح عن البخاري قال: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص، وأطنب ابن أبي حاتم واللالكائي في نقل ذلك بالأسانيد عن جمع كثير من الصحابة والتابعين، وكل من يدور عليه الإجماع من الصحابة والتابعين ، وكل من يدور عليه الإجماع من الصحابة والتابعين.وحكاه فضيل بن عياض ووكيع عن أهل السنة والجماعة [74] .

قال **عقبة بن علقمة : « سألت الأوزاعي عن الإيمان ، أيزيد ؟ قال : نعم حتى يكون كالجبال ، قلت : أفينقص ؟ قال : نعم ، حتى لا يبقى منه شيء »[75] .**

*** عَنْ مُوسَى بْنِ هَارُونَ الْحَمَّالِ قَالَ : أَمْلَى عَلَيْنَا إسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْه أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ ،لَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ كَمَا وَصَفْنَا وَإِنَّمَا عَقَلْنَا هَذَا بِالرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ وَالْآثَارِ الْعَامَّةِ الْمُحْكَمَةِ ؛ وَآحَادِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالتَّابِعِينَ وَهَلُمَّ جَرًّا عَلَى ذَلِكَ ، وَكَذَلِكَ بَعْدَ التَّابِعِينَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ لَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ، وَكَذَلِكَ فِي عَهْدِ الأوزاعي بِالشَّامِ وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ بِالْعِرَاقِ ؛ وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ بِالْحِجَازِ وَمَعْمَرٍ بِالْيَمَنِ عَلَى مَا فَسَّرْنَا وَبَيَّنَّا ،أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ [76]. فالحاصل أن نقول :**

---

[74] انظر فتح الباري (1/46)

[75] **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة(4/354)**

[76] مجموع الفتاوى (7/308)

أنَّ زيادة الإيمان إنما تكون بزيادة ما يتعلم المرء من العلوم الشرعية ، من أمور العقيدة فى الله- تعالى- كأسمائه الحسنى وصفاته بشىء من التفصيل، و صفات كماله وجلاله وعظمته، ومعانى أسماءه الحسنى ودلالته، فكل هذه الأمور يزداد بها المرء إيماناً فى قلبه.

فليس إيمان من لم يعلم أسماء الله الحسنى كإيمان من علمها،وليس إيمان من علمها على الإجمال كإيمان من تعلمها وأحصاها وعرف معانيها ودعا الله - تبارك وتعالى- بها.

*** وكذلك يزداد الإيمان بزيادة اليقين فى القلب،كما قول الله تعالى(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) **(البقرة/260)** فالمؤمن عنده علم اليقين مثلاً أن الله يحيى ويميت ، فإذا رأى ذلك صار هذا عين اليقين، وبه يزداد إيماناً.

** وكذلك أعمال الجوارح تزيد وتنقص ؛ فمن يصلى ركعتين ليس كمن صلى أربعاً ، ومن صام يوماً فى سبيل الله ليس كمن حافظ على صيام الأيام القمرية من أواسط الشهر،وهكذا. قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وَأَمَّا زِيَادَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي عَلَى الْجَوَارِحِ وَنُقْصَانِهِ فَمُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . ا.هـ [77] .

[77] مجموع الفتاوى (6/479) وهذه الزيادة والنقصان في أعمال الجوارح قد قال بها المرجئة ، وفي هذا المعنى قَالَ الْفُضَيْلُ : " يَقُولُ أَهْلُ الْبِدَعِ: الْإِيمَانُ الْإِقْرَارُ بِلَا عَمَلٍ وَالْإِيمَانُ وَاحِدٌ، وَإِنَّمَا يَتَفَاضَلُ النَّاسُ بِالْأَعْمَالِ، وَلَا يَتَفَاضَلُونَ بِالْإِيمَانِ، وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ فَقَدْ خَالَفَ الْأَثَرَ وَرَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

ذ

**** وكذلك فمن الأمور التي يدخلها الزيادة والنقصان*** : **قول القلب** ، ***يدل عليه*** :ما ورد عن عمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رِضي الله عنه – أنه قال يوم الحديبية :، وَاللَّهِ مَا شَكَكْتُ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، إِلَّا يَوْمَئِذٍ[78] .

ومما يدل على ذلك:

* تفاوت الناس في معرفة تفاصيل ما يصدقون به، ولا شك أن التصديق المجمل ليس كالتصديق المفصَّل.

* تفاوت الناس في استقرار ذلك التصديق في نفوسهم ومدى استحضارهم له.

* تفاوتهم في نفس التصديق قوة وضعفاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

ثم نفس التصديق أيضاً متفاضل من جهات: **منها**: أن التصديق بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم قد يكون مجملاً وقد يكون مفصلاً، والمفصل من المجمل، فليس تصديق من عرف القرآن ومعانيه والحديث ومعانيه وصدق بذلك مفصلاً كمن صدق أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثر ما جاء به لا يعرفه أو لا يفهمه.

ومنها: أن التصديق المستقر المذكور أتم من العلم الذي يطلب حصوله مع الغفلة عنه.

وَسَلَّمَ -قَوْلَهُ ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» وَتَفْسِيرُ مَنْ يَقُولُ الْإِيمَانُ لَا يَتَفَاضَلُ يَقُولُ: إِنَّ الْفَرَائِضَ لَيْسَتْ مِنَ الْإِيمَانِ، فَمَيَّزَ أَهْلُ الْبِدَعِ الْعَمَلَ مِنَ الْإِيمَانِ، وَقَالُوا: إِنَّ فَرَائِضَ اللَّهِ لَيْسَ مِنَ الْإِيمَانِ ،وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ فَقَدْ أَعْظَمَ الْفِرْيَةَ، أَخَافُ أَنْ يَكُونَ جَاحِدًا لِلْفَرَائِضِ، رَادًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَمْرَهُا.هـ وانظرالسنة لعبد الله بن أحمد(ص/374)وبراءة أهل الحديث من بدعة المرجئة (ص/254)

[78] صحيح ابن حبان (11/216)وصححه الألباني و شعيب الأرنؤوط.

ومنها:
أن التصديق نفسه يتفاضل ، فليس ما أثنى عليه البرهان بل تشهد له الأعيان وأميط عنه كل أذى وحسبان حتى بلغ أعلى الدرجات، درجات الإيقان، كتصديق زعزعته الشبهات وصدفته الشهوات ولعب به التقليد، ويضعف لشبه المعاند العنيد. وهذا أمر يجده من نفسه كل منصف رشيد. ولهذا كان المشايخ -أهل المعرفة والتحقيق السالكون إلى الله أقصد طريق- متفقين على الزيادة والنقصان في الإيمان والتصديق كما هو مذهب أهل السنة والحديث في القديم والحديث. [79] .

قال النووي:
فَالْأَظْهَرُ - وَاَللَّه أَعْلَمُ - أَنَّ نَفْس التَّصْدِيق يَزِيد بِكَثْرَةِ النَّظَر وَتَظَاهُرِ الْأَدِلَّة وَلِهَذَا يَكُون إِيمَان الصِّدِّيقِينَ أَقْوَى مِنْ إِيمَان غَيْرهمْ بِحَيْثُ لَا تَعْتَرِيهِمْ الشُّبَهُ ، وَلَا يَتَزَلْزَلُ إِيمَانُهُمْ بِعَارِضٍ ، بَلْ لَا تَزَالُ قُلُوبُهُمْ مُنْشَرِحَةً نَيِّرَةً وَإِنْ اِخْتَلَفَتْ عَلَيْهِمْ الْأَحْوَال ، وَأَمَّا غَيْرهمْ مِنْ الْمُؤَلَّفَة وَمَنْ قَارَبَهُمْ وَنَحْوِهِمْ فَلَيْسُوا كَذَلِكَ فَهَذَا مِمَّا لَا يُمْكِنُ إِنْكَارُهُ . وَلَا يَتَشَكَّك عَاقِل فِي أَنَّ نَفْس تَصْدِيق أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللَّه عَنْهُ - لَا يُسَاوِيهِ تَصْدِيقُ آحَاد النَّاس ؛ وَلِهَذَا قَالَ الْبُخَارِيّ فِي صَحِيحه : قَالَ اِبْن أَبِي مُلَيْكَة : أَدْرَكْت ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَاب النَّبِيّ -صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كُلّهمْ يَخَاف النِّفَاق عَلَى نَفْسه ، مَا مِنْهُمْ أَحَد يَقُول إِنَّهُ عَلَى إِيمَان جِبْرِيل وَمِيكَائِيل . وَاَللَّه أَعْلَمُ [80] .

---

[79] مجموع الفتاوى(6/481)

[80] شرح صحيح مسلم للنووى(1 / 69) تنبيه :وعليه فإن التصديق القلبي يزيد وينقص ،وقد ذهب ابن حزم أن التصديق لا يقبل الزيادة ولا النقصان ،لذا فلما أراد أن يثبت أن أعمال الجوارح داخلة في الإيمان ، استدل على ذلك بما ثبت أن الإيمان يزيد وينقص ،ومثل هذا- أي الزيادة والنقصان – لما لم يكن في تصديق القلب ، دل أن أعمال الجوارح من الإيمان .

ذ

قال ابن حجر:
والأظهر المختار أن التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة، ولهذا كان إيمان الصديق أقوى من إيمان غيره بحيث لا يعتريه الشبهة.ويؤيده أن كل أحد يعلم أن ما في قلبه يتفاضل، حتى إنه يكون في بعض الأحيان الإيمان أعظم يقينا وإخلاصا وتوكلا منه في بعضها، وكذلك في التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين وكثرتها .ا.هـ [81].

***** بل نقول :*** أن الإسلام يزيد وينقص ؛ قال تعالى (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا) **(الأحزاب/22)** فإن اسلام الناس متفاوت من حيث استسلام لشرع الله – تعالى – والتزامهم بشرائع الإسلام التى وردت في حديث جبريل – عليه السلام –وغيره.[82]

<u>* فرع</u> ــــ: وقد نُقل عن مالك قولان** :
الأول : موافق لما أجمع عليه السلف. ***والثانى*** : التوقف عن القول بالنقصان. **قال ابن القاسم : كان مالك يقول الإيمان يزيد وتوقف عن النقصان ، وقال – أي مالك - : ذكر الله زيادته في غير موضع ، فدع الكلام في نقصانه وكف عنه [83] .**

,

**** توجيه العلماء لهذا التوقف من وجوه:**
(1) إنما توقف مالك عن القول بنقصان الإيمان

---

[81] فتح الباري(1/46)
[82] وأما ما نقل عن الزهري وأحمد من أن الإسلام هو الكلمة ،فإن مقصودهما أن الدخول في الإسلام يكون بمجرد نطق الشهادتين ،وبعد ذلك يؤمر بشرائع الإسلام ،وليس المقصد أن الإسلام يُكتفى فيه بالكلمة دون العمل .
[83] ترتيب المدارك(1/53)

خشية أن يتأول عليه موافقة الخوارج الذين يكفرون أهل المعاصى من المؤمنين بالذنوب [84].
(2) **الوجه الثانى: أن التصديق بالله وبرسله لا ينقص، ولذلك توقف مالك فى بعض الروايات عنه عن القول بالنقصان فيه، إذ لا يجوز نقصان التصديق؛ لأنه إن نقص صار شكاً، وانتقل عن اسم الإيمان[85].**
.
(3) **الوجه الثالث**: أنه قال بذلك لعدم وقوفه على نص يفيد نقصان الإيمان.
وهذا الوجه يرده ماثبت من نصوص في إثبات نقصان الإيمان ، والتي منها : **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَطَبَ النَّاسَ فَوَعَظَهُمْ ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنَّكُنَّ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ :وَلِمَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : لِكَثْرَةِ لَعْنِكُنَّ، يَعْنِي وَكُفْرِكُنَّ الْعَشِيرَ ، قَالَ وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذَوِي الْأَلْبَابِ وَذَوِي الرَّأْيِ مِنْكُنَّ ، قَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ وَمَا نُقْصَانُ دِينِهَا وَعَقْلِهَا ؟ قَالَ : شَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ مِنْكُنَّ بِشَهَادَةِ رَجُلٍ وَنُقْصَانُ دِينِكُنَّ الْحَيْضَةُ تَمْكُثُ إِحْدَاكُنَّ الثَّلَاثَ وَالْأَرْبَعَ لَا تُصَلِّي [86].**
(4)**الوجه الرابع**: لعل هذا المنقول عن مالك - رحمه الله- قد فُهِم من كلامه ،وليس هو صريح كلامه بنصه.

---

[84] وهذا توجيه بعيد ؛ لأنه نفس قول مالك بزيادة الإيمان هو قول مخالف لقول الخوارج الذين يعتبرون الإيمان جزأ واحد لا يتجزأ ، لا يقبل الزيادة ولا النقصان .

[85] وهذا مما ذكره النووي في شرحه لمسلم (1/69) وانظر شرح صحيح البخارى لابن بطال (1 / 14)

[86] سبق تخريجه .

ذ

والأقرب - والله أعلم - الوجه الثالث :
أن توقَّف مالك – رحمه الله -عن إطلاق لفظ النقصان إنما هو لعدم تصريح القرآن به، وخفاء تصريح السنة بذلك عنده ، فهذه هى علة توقفه ، وليس كما يظن البعض أنه توقف لأنه يرى ما يراه المخالفون الذين ينفون زيادة الإيمان ونقصانه بناءً على قولهم أن الإيمان شىء واحد، إذا ذهب بعضه ذهب كله، كما هو قول أهل البدع من المرجئة والخوارج والجهمية.
**** بل نقول قد ثبت عنه - رحمه الله – رجوعه عن هذا التوقف :**
(1) **عن أحمد بن القاسم ، قال : قلت : يا أبا عبد الله فقلت له : إن مالك يحكون عنه أنه قال : يزيد ولا ينقص ، فقال : بلى ، قد روي عنه : يزيد وينقص ، كان ابن نافع يحكيه عن مالك . فقلت له : ابن نافع حكى عن مالك ؟ قال : نعم »[87] .**
*

***** أقوال المخالفين لأهل السنة في زيادة ونقصان الإيمان :***
وسبب الخلاف هنا هو خلافهم فى حقيقة الإيمان ، فمن أدخل عمل الجوارح في الايمان أثبت الزيادة والنقصان،

---

[87] وقد نقل جمهور أصحاب مالك – ومنهم عبدالله بن وهب ومعمر بن عيسى وعبدالله بن نافع وعبد الرزاق الصنعاني – عنه قوله بزيادة الإيمان ونقصانه ، وقد نص شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذا القول هو الرواية المشهورة عن مالك ،فقال – رحمه الله -:وكان بَعْضُ الْفُقَهَاءِ مِنْ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ لَمْ يُوَافِقُوا فِي إطْلَاقِ النُّقْصَانِ عَلَيْهِ لِأَنَّهُمْ وَجَدُوا ذِكْرَ الزِّيَادَةِ فِي الْقُرْآنِ وَلَمْ يَجِدُوا ذِكْرَ النَّقْصِ وَهَذَا إحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ عَنْ مَالِكٍ وَالرِّوَايَةُ الْأُخْرَى عَنْهُ؛ وَهُوَ الْمَشْهُورُ عِنْدَ أَصْحَابِهِ كَقَوْلِ سَائِرِهِمْ: إنَّهُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ . وانظر مجموع الفتاوى(7/506)والسنة للخلال (رقم/1046)

ومن قال أن الإيمان هو تصديق القلب فقط اعتبر أن الإيمان إذا دخله النقصان صار شكاً ،كما أنه لا يقبل الزيادة لأنه جزء واحد .

أولاً: أما الأشاعرة والماتردية والمرجئة :

- فمن أصولهم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ،لذا فلما سئل أحمد بن حنبل عمن يقول الإيمان يزيد وينقص؟ قال: هذا برىء من الإرجاء [88].

تنبيه : وقد وافق المرجئة أهل السنة أن أعمال الجوارح - والتي هي من ثمرات الإيمان ، وليست من الإيمان - تزيد وتنقص ، لذلك فهم عندما يقولون بزيادة الإيمان ونقصانه إنما يقصدون هذا المعنى .

قال شيخ الإسلام :

التَّفَاضُلُ فِي الْإِيمَانِ بِدُخُولِ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ فِيهِ يَكُونُ مِنْ وُجُوهٍ مُتَعَدِّدَةٍ : (أَحَدُهَا) الْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يَتَفَاضَلُونَ فِيهَا وَتَزِيدُ وَتَنْقُصُ ، وَهَذَا مِمَّا اتَّفَقَ النَّاسُ عَلَى دُخُولِ الزِّيَادَةِ فِيهِ وَالنُّقْصَانِ لَكِنْ نِزَاعُهُمْ فِي دُخُولِ ذَلِكَ فِي مُسَمَّى الْإِيمَانِ . فالْنُّفَاةِ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ وَمُقْتَضَاهُ فَأُدْخِلَ فِيهِ مَجَازًا بِهَذَا الِاعْتِبَارِ وَهَذَا مَعْنَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ عِنْدَهُمْ وَنَقْصِهِ أَيْ زِيَادَةِ ثَمَرَاتِهِ وَنُقْصَانِهَا [89] .

نقول : وإنما اختلفوا فى زيادة الإيمان ونقصانه فى القلب ، بناءً على قولهم أن الإيمان هو التصديق القلبى ،

---

[88] السنة للخلال رقم(1009)

[89] وانظر مجموع الفتاوى (7/562)

ذ

وزعموا أن ذلك الإيمان لا يقبل زيادة ولا نقصاناً إذ لو أنه نقص لصار شكاً .

وقالوا: الإيمان إما يوجد كله أويعدم كله .

وقالوا: إيمان آحاد الناس كإيمان أبى بكر وجبريل ،وزيادة الإيمان لا تتصور إلا فى أصناف الأشياء التى يؤمن بها ، أو من جهة كثرة زمان الإيمان [90] .

<u>* قول الخوارج والمعتزلة:</u>**

أنهم لما جعلوا تفسير الإيمان فى عمل الطاعات بالقلب واللسان والجوارح جميعاً ،وجعلوا الإيمان كلٌ لا يتجزأ ، إما أن يأتى المرء بكل الطاعات ويترك كل المعاصى فيكون مؤمناً تام الإيمان، وإما أنه إذا أخل بإحداها خرج من الإيمان كليةً ، وعليه ذهبوا إلى عدم القول بزيادة ونقصان الإيمان .

<u> الإيمان عند الفرق وأقوالهم فيه :</u>***

<u>الجهمية:</u> الإيمان عندهم هو المعرفة ، والكفر هو الجهل بالله عز وجل ، فجهم حصر قد الإيمان فى معرفة القلب .

وهذا أفسد قول قيل فى الإيمان ، ولهذا فقد كفَّر أحمد ووكيع وغيرهما من قال بذلك، فلقد كان إبليس عارفاً بالله مصدقاً بربوبيته ، وكذلك كان فرعون ،قال الله حاكياً عن إبليس **(قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) (الحجر/39) وقال** (**فَبِعِزَّتك لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)**

---

[90] انظر حقيقة الإيمان وبدع الإرجاء(ص/39)

(ص/82) وقال تعالى (**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)(النمل/14) وقال تعالى (قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا)(الإسراء/102)**
ممَّا يدل على أن إبليس وفرعون كانا يصدِّقان بوجود الله – تعالى – ويعرفونه ، فدل ذلك أن المعرفة وحدها لا يصح بها الإيمان ،وأن الكفر لا يختص بالجهل كما زعم جهم ومن وافقه. وقال تعالى (**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)فأخبر الله – تعالى – بمعرفة اليهود لصدق النبي-صلى الله عليه وسلم-** ومع ذلك لم ينفعهم ذلك ،بل قاتلهم الرسول - صلى الله عليه وسلم- وأخرجهم من ديارهم .

ولكن :

(1) وجهم وإن حصر الكفر فى جهل القلب ،إلا أنه التزم بتكفير من أتى المكفرات الظاهرة فى الدنيا ، والحكم بأنه مؤمن فى الباطن، و من أهل الجنة.
(2)التزم جهم بتكفير ابليس وفرعون ؛ زاعماً أنه لم يكن فى قلبيهما شىء من المعرفة بالله [91] .

الرد على الجهمية:-

قال ابن حزم : قد نَص الله عز وَجل على أَن الْيَهُود

---

[91] وقد قال بقول الجهمية فى الإيمان أبو الحسن الأشعرى وطائفة من الأشاعرة، ولكنهم لم يلتزموا بلوازم هذا القول، بل التزم الأشعرى التناقض الواضح عندما قبل أن يقول أن إبليس لما كفر نزعت منه المعرفة ، وكذا وقع لفرعون، ولكن لما لم يلتزم بلازم قوله دل على تناقضه ، وبطلان أصل القول؛ لأن القول إذا لزم منه البطلان كان باطلاً.

يعْرفُونَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم كَمَا يعْرفُونَ أَبْنَاءَهُم وَأَنَّهُمْ يجدونه مَكْتُوبًا عِنْدهم فِي التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيل ، وَقَالَ تَعَالَى {فَإِنَّهُم لَا يكذبُونَك وَلَكِن الظَّالِمين بآيَات الله يجحدون} وَأخْبر تَعَالَى عَن الْكفَّار فَقَالَ {وَلَئِن سَأَلتهمْ من خلقهمْ ليَقُولن الله} فَأخْبر- تَعَالَى- أَنهم يعْرفُونَ صدقه وَلَا يكذبونه ،وهم الْيَهُود وَالنَّصَارَى وهم كفار بِلَا خلاف من أحد من الْأمة، وَمن أنكر كفرهم فَلَا خلاف من أحد من الْأمة فِي كفره وَخُرُوجه عَن الْإِسْلَام ، وَنَصّ تَعَالَى عَن إِبْلِيس أَنه عَارِف بِاللَّه تَعَالَى وبملائكته وبرسله وبالبعث وَأَنه قَالَ {رب فأنظرني إِلَى يَوْم يبعثون} وَقَالَ {لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون} وَقَالَ {خلقتني من نَار وخلقته من طين} وَهُوَ مَعَ ذَلِك كُله كَافِر بِلَا خلاف . ا.هـ [92]

- ***قال وكيع بن الجراح :***

وأهل السنة والجماعة يقولون أن الإيمان قول وعمل،والمرجئة يقولون الإيمان قول ، والجهمية يقولون المعرفة ، ولو لم يكن عليهم من الدليل إلا قوله تعالى(**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**)(البينة/5)

فأخبر أنه لا يتم الإيمان إلا بإخلاص والعمل،لكان كافياً فى الاستدلال [93].

قال ابن تيمية :

وَزَعَمَ جَهْمٌ وَمَنْ وَافَقَهُ أَنَّهُ يَكُونُ مُؤْمِنًا فِي الْبَاطِنِ ، وَأَنَّ مُجَرَّدَ مَعْرِفَةِ الْقَلْبِ وَتَصْدِيقِهِ يَكُونُ

[92] الفصل في الملل والأهواء والنحل(3/110)

[93] براءة أهل الحديث من بدعة المرجئة (ص/203)

ذ

إيمَانًا يُوجِبُ الثَّوَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلَا قَوْلٍ وَلَا عَمَلٍ ظَاهِرٍ ، وَهَذَا بَاطِلٌ شَرْعًا وَعَقْلًا ، وَقَدْ كَفَّرَ السَّلَفُ كَوَكِيعِ وَأَحْمَد وَغَيْرِهِمَا مَنْ يَقُولُ بِهَذَا الْقَوْلِ ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : { إنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ } فَبَيَّنَ أَنَّ صَلَاحَ الْقَلْبِ مُسْتَلْزِمٌ لِصَلَاحِ الْجَسَدِ ،فَإِذَا كَانَ الْجَسَدُ غَيْرَ صَالِحٍ دَلَّ عَلَى أَنَّ الْقَلْبَ غَيْرُ صَالِحٍ ، وَالْقَلْبُ الْمُؤْمِنُ صَالِحٌ فَعُلِمَ أَنَّ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِالْإِيمَانِ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ لَا يَكُونُ قَلْبُهُ مُؤْمِنًا [94] .ا.هـ.

وقال – رحمه الله- : **وَبِهَذَا تَعْرِفُ أَنَّ مَنْ آمَنَ قَلْبُهُ إيمَانًا جَازِمًا امْتَنَعَ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ بِالشَّهَادَتَيْنِ مَعَ الْقُدْرَةِ، فَعَدَمُ الشَّهَادَتَيْنِ مَعَ الْقُدْرَةِ مُسْتَلْزَمٌ انْتِفَاءَ الْإِيمَانِ الْقَلْبِيِّ التَّامِّ ؛ وَبِهَذَا يَظْهَرُ خَطَأُ جَهْمٍ وَمَنْ اتَّبَعَهُ فِي زَعْمِهِمْ أَنَّ مُجَرَّدَ إيمَانٍ بِدُونِ الْإِيمَانِ الظَّاهِرِ يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ ؛ فَإِنَّ هَذَا مُمْتَنِعٌ إذْ لَا يَحْصُلُ الْإِيمَانُ التَّامُّ فِي الْقَلْبِ إلَّا وَيَحْصُلُ فِي الظَّاهِرِ مُوجِبُهُ بِحَسَبِ الْقُدْرَةِ ،فَإِنَّ مِنْ الْمُمْتَنِعِ أَنْ يُحِبَّ الْإِنْسَانُ غَيْرَهُ حُبًّا جَازِمًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى مُوَاصَلَتِهِ وَلَا يَحْصُلُ مِنْهُ حَرَكَةٌ ظَاهِرَةٌ إلَى ذَلِكَ ا.هـ [95] .** **قال ابن القيم** :أهل السنة مجمعون على زوال الإيمان وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب, وهومحبته وانقياده ، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا

---

[94] مجموع الفتاوى(14/120)

[95] المصدر السابق (7/553)

يعتقدون صدق الرسول- صلى الله عليه وسلم - بل ويقرون به سراً وجهراً ، ويقولون ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به [96].

<u>* الإيمان عند الكرامية:</u>**

والإيمان عند الكرامية هو قول اللسان ، دون اشتراط تصديق القلب أوعمل الجوارح ، فمن تكلم به فهو مؤمن كامل الإيمان ؛ لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قبل إسلام الناس بمجرد قولهم للشهادتين .

* لذا فالمنافق - وإن أظهر نفاقاً واضحاً - فهو عندهم مؤمن ،إلا إنه يخلد فى النار. **فوافقوا أهل السنة وخالفوهم خالفوهم :**

فى مسألة التصديق : من حيث الاسم ووافقوهم في الحكم ، فعندهم أن من أقر بلسانه وكذَّب بقلبه ، فهو منافق يُخلَّد في النار .[97] *** ***<u>الرد على الكرامية :</u>***

نقول : أننا نتفق معكم أن نطق الشهادتين يكفي في الحكم بإسلام قائلها ظاهراً ،بها يُعصم ماله ودمه ، ولكنه إذا أظهر نفاقاً جلياً واضحاً ، حكمنا بنفاقه النفاق المخرج من الملة .أما الأحاديث التي نصت على اشتراط النطق بكلمة التوحيد لعصمة المال والنفس فهى مخصوصة بالآيات التى دلت على الحكم بالنفاق على أناس نطقوا الشهادتين ،وقد أتوا بالنفاق الأكبر المخرج من الملة. ***قال النووي*** : ومن

---

[96] الصلاة وحكم تاركها (ص/56)

[97] وللحق نقول :أن شيخ الإسلام قد خطَّأ من حكى عن الكرامية القول أنهم يجعلون المنافقين من أصحاب الجنة ؛لأن المؤمن المستحق للجنة لابد أن يكون مؤمناً في الظاهر والباطن باتفاق أهل الملة .

ذ

أقوى ما يُرد به على الكرامية إجماع الأمة على إكفار المنافقين .[98]

*** قال تعالى (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (14) **(الحجرات/14)** ومعلوم أنه قد وقع منهم القول الظاهر ،الذي هو الإقراربالشهادتين ، ولم يجعلهم بذلك مؤمنين ؛ لعدم دخول الإيمان في قلوبهم .[99]

** ***قال شيخ الإسلام*** :

وَقَالَتْ الْكَرَامِيَّةُ هُوَ الْقَوْلُ فَقَطْ .فَمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ كَامِلُ الْإِيمَانِ ، لَكِنْ إنْ كَانَ مُقِرًّا بِقَلْبِهِ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مُكَذِّبًا بِقَلْبِهِ كَانَ مُنَافِقًا مُؤْمِنًا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الَّذِي اخْتَصَّتْ بِهِ الْكَرَامِيَّةُ وَابْتَدَعَتْهُ . وَلَمْ يَسْبِقْهَا أَحَدٌ إلَى هَذَا الْقَوْلِ وَهُوَ آخِرُ مَا أُحْدِثَ مِنْ الْأَقْوَالِ فِي الْإِيمَانِ ا.هـ [100] .

وقال رحمه الله :مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّهُ بِمُجَرَّدِ تَلَفُّظِ الْإِنْسَانِ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ بِحَالِ فَهُوَ ضَالٌّ مُخَالِفٌ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَإِنَّهُ قَدْ تَلَفَّظَ بِهَا الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ .ا.هـ [101]

**** قَالَ أَبُو عِيسَى : سَمِعْت أَبَا مُصْعَبٍ الْمَدَنِيَّ**

---

[98] : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج(1/147)

[99] وانظر الإيمان لأبي يعلى (ص/394)

[100] مجموع الفتاوى(13/56)

[101] المصدر السابق(35/202)

ذ

يَقُولُ : مَنْ قَالَ الْإِيمَانُ قَوْلٌ يُسْتَتَابُ ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ .[102] .

***** <u>الإيمان عند المرجئة</u>:-** [103]

وقد أطلق عليهم اسم المرجئة لأمرين :

(1) غلَّبوا جانب الرجاء . (2)أرجئوا(أى أخروا)العمل ، وما جعلوه من الإيمان.

أما قولهم فى الإيمان :

فهوعندهم تصديق القلب وعمله ومعرفته، ولم يدخلوا قول اللسان ولا عمل الجوارح فى الإيمان، وجعلوا كمال الدين مجرد التصديق، وعليه فقد جعلوا إيمان أفجر الناس كإيمان جبريل وأبي بكر الصديق .

وقالوا: ولا يضر مع إيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة ،[104] وجمهورهم أن تارك الصلاة معرض للوعيد ، وهوفي ذلك كامل الإيمان ،فهم يختلفون مع السلف فى إدخالها فى الإيمان،أى فى ترتيب الإيمان على وجودها،والكفر على انتفائها،وهذا ما تدل عليه مقولة السلف " لا إيمان إلا بعمل ولا عمل الا بإيمان " ،وأما المرجئة فيرفضون ذلك،وهذا هو مرادهم من فصل العمل

---

[102] سنن الترمذي(2622)

[103] وبعض المعاصرين يطلقون على المرجئة لقب(مرجئة أهل السنة)إشارة الى المرجئة الخالصة التى لم تجمع بين الإرجاء وغيره من البدع المشهورة، فالمرجئة عند أصحاب المقالات أربعة أصناف(مرجئة القدرية ومرجئة الخوارج ومرجئة الجبرية والمرجئة الخالصة)والأخيرة هى التى يطلق على مرجئة أهل السنة ، وهذا بخلاف مرجئة الفقهاء،وسيأتى بيانهم .

[104] وأما قولهم " لا يضر مع الإيمان ذنب " فهذا مما نص عليه صاحب الطحاوية ؛بناءً على قول مرجئة الفقهاء بإخراج عمل الجوارح من الإيمان .والصواب أن الذنوب تؤثر في الإيمان ،فمنها ما يزيله بالكلية ،كترك الصلاة ، ومنها ما ينقصه فقط كسائر الذنوب الأخرى .وانظر التعليقات المختصرة على الطحاوية للفوزان (ص/140)

ذ

عن الإيمان.[105] وبهذا ترى أن المرجئة تصوروا وجود الإيمان التام الكامل مع انتفاء عمل الجوارح بالكلية .

*** ومنهم من يسمى الأعمال إيماناً من باب المجاز ؛ لأن العمل ثمرة الإيمان ومقتضاه، ولأنها دليل عليه . فهذا هو حال المرجئة قديماً ينفون التلازم ، ويتصورون إيمان القلب التام بل الكامل مع انتفاء العمل الظاهر.[106]

قال البربهارى:

من قال الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، فقد خرج من الإرجاء كله أوله وآخره.ا.هـ[107] .

---

[105] ولما كان الإيمان عند المرجئة منحصراً في التصديق ترتب على ذلك ما يلي : أ - فإن الكفر لا يكون إلا بالتكذيب ،وعليه فمن لطخ المصحف – مثلا – أوسجد لصنم فلا يكفر، وعمله هذا لا يكون كفراً ، بل هذا دال على انتفاء الإيمان من قلبه . وأهل السنة يقولون أن ذات الفعل يكون كفراً .فإن قيل : فما تأويل قول صاحب الطحاوية :ولا نكفر أحداً بذنب ما لم يستحله ؟؟؟ فالجواب :ما نص عليه شيخ الإسلام أن هذه العبارة سيقت رداً على الخوارج الذين يكفرون بالكبيرة . ب) أن المرجئة يقولون نحن مؤمنون عند الله ؛ حيث أن التصديق لا يقبل النقصان ولا الشك .فمجرد أن آمنوا ثبت لهم كمال الإيمان ،أما أهل السنة فيقولون : نحن مؤمنون بالاقرار ؛فالمؤمن يقر بإيمانه ، لكنه لا يجزم بالنجاة ، بل يرجو ربه ذلك .

[106] المرجئة لا يمتنعون من القول بدخول الأعمال فى الإيمان إذا كان لا يترتب على زوالها زوال الإيمان ، فالعمل ركن من الإيمان الكامل،وليس بركن من أصل الإيمان الذى لا نجاة من الخلود فى النار إلا به.

[107] وانظر شرح السنة(ص/129)

تعليق مهم:- وقد اغتربهذا الكلام بعض من قال أن العمل شرط كمال للإيمان،فظن أن كلامه هذا ليس من الإرجاء فى شىء ؛ حيث أنه يذهب إلى أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ،ولكن نقول أن علم السلف يؤخذ من مجموعه والذى نصه أن العمل شرط صحة ، وليس شرط كمال ، وبفقده يفقد الإيمان كله. فتنبه،حيث أن قول أهل السنة أن الإيمان قول وعمل يعنى إثبات أمرين:

ذ

*** الرد على المرجئة :

أما قولهم إيمان آحاد الناس كإيمان جبريل:
فيرده الإجماع الذى نقله ابن أبى مليكة : أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ.[108] *
وقد قِيلَ لِابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ إِنَّهُ يُجَالِسُكَ رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّ إِيمَانَهُ مِثْلُ إِيمَانِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فقَالَ: سبحان الله ! " وَاللهِ لَقَدْ فَضَّلَ اللهُ جِبْرِيلَ فِي الثَّنَاءِ فَقَالَ: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ، ثَمَّ أَمِينٍ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ} [التكوير: 20][109]

قال ابن حجر :
وفي هذا- أي في كلام ابن أبي مليكة - إشارة إلى أن

---

(1) عدم صحة القول دون العمل ،وهذا بإجماع السلف. (2) أن الكفر يكون بالقول والعمل كما يكون الإعتقاد والترك ،فالمخالف فى هذا أو بعضه مخالف لأهل السنة موافق للمرجئة ولو ادعى غير ذلك.
* وقد سئل العلامة الفوزان أن من قال الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد وينقص فقد برىء من الإرجاء كله حتى لو قال: لا كفر إلا باعتقاد وجحود؟
فأجاب: هذا تناقض ؛ لأنه إذا قال لا كفر إلا باعتقاد أوجحود فهو مناقض لقوله أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح ؛ لأن من لوازم هذا القول - أى القول بأن الإيمان قول وعمل وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية - أن من تخلى عن الأعمال نهائياً فإنه لا يكون مؤمناً ؛ لأن الإيمان هو مجموع هذه الأشياء. والكفر ليس محصوراً على الجحود وإنما الجحود نوع من أنواعه،فالكفر يكون بالقول والفعل والاعتقاد وبالشك.ا. هـ مسائل الإيمان للفوزان(ص/23)

[108] أخرجه البخارى معلقاً فى كتاب الإيمان، باب(36)وانظر حقيقة الإيمان وبدع الإرجاء(ص/42)

[109] الإيمان لأبي عبيد (ص/63)

ذ

المذكورين كانوا قائلين بتفاوت درجات المؤمنين في الإيمان، خلافا للمرجئة القائلين : بأن إيمان الصديقين وغيرهم بمنزلة واحدة [110] .

* أما قولهم لا يضر مع الإسلام معصية فالرد عليه في حديث حُذَيْفَة – رضي الله عنه - سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَىُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ [111] .

- ***رد على إخراجهم عمل القلب من الإيمان :***
  قال رَسُول اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ[112] .

فمذهب الإرجاء قد ترتب عليه المفاسد العظيمة،حيث حصروا الكفر فى التكذيب بالقلب وهو يسمى بكفر الإستحلال والجحود .[113]

---

[110] وانظر فتح الباري (1/169)

[111] رواه مسلم (386)

[112] أخرجه البخاري (97)

[113] وعليه نقول :أن من قال أن الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد وينقص ، وجعل أعمال الجوارح شرط كمال ، ويقول " لا كفر إلا باعتقاد وجحود" وينسب ذلك لأهل السنة ، فقد نسب لأهل السنة ما ليس منهم ،وقد سئل صالح الفوزان :هل تصح هذه المقولة: " من قال الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد وينقص فقد بريء من الإرجاء كله حتى لو قال لا كفر إلا باعتقاد وجحود " ؟

فقال :

هذا تناقض !! إذا قال لا كفر إلا باعتقاد أو جحود فهذا يناقض قوله إن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، هذا تناقض ظاهر ، لأنه إذا كان الإيمان قول باللسان واعتقاد الجنان وعمل بالجوارح وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ... فمعناه أنه من تخلى من شيء من ذلك فإنه لا يكون مؤمناً . وانظر أسئلة وأجوبة في مسائل الإيمان والكفر(ص/5)

ومن آثار ذلك فتح باب التخلى عن الواجبات والوقوع فى المحرمات وتجسير كل فاسق وقاطع طريق على الموبقات،مما يؤدى إلى الإنسلاخ من الدين،وهتك حرمات الإسلام ،نعوذ بالله من الخذلان [114].

*وكذلك يلزم من قول المرجئة الذين أخرجوا عمل القلب من الإيمان عدم تكفير الكفار؛لأنهم فى الباطن لا يكذِّبون رسالة الرسول -صلى الله عليه وسلم -وانما يجحدونها فى الظاهر،كما قال تعالى لنبيه **(قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) (الأنعام/33)** ولذا قال إبراهيم النخعى (لفتنة المرجئة أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة).ا.هـ [115]

أقوال الأئمة في الرد على المرجئة :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

وَ " السَّلَفُ " اشْتَدَّ نَكِيرُهُمْ عَلَى الْمُرْجِئَةِ لَمَّا أَخْرَجُوا الْعَمَلَ مِنْ الْإِيمَانِ وَقَالُوا إنَّ الْإِيمَانَ يَتَمَاثَلُ النَّاسُ فِيهِ وَلَا رَيْبَ أَنَّ قَوْلَهُمْ بِتَسَاوِي إيمَانِ النَّاسِ مِنْ أَفْحَشِ الْخَطَأِ بَلْ لَا يَتَسَاوَى النَّاسُ فِي التَّصْدِيقِ وَلَا فِي الْحُبِّ وَلَا فِي الْخَشْيَةِ وَلَا فِي الْعِلْمِ ؛ بَلْ يَتَفَاضَلُونَ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ . وَ " أَيْضًا " فَإِخْرَاجُهُمْ الْعَمَلَ يُشْعِرُ أَنَّهُمْ أَخْرَجُوا أَعْمَالَ الْقُلُوبِ أَيْضًا ، وَهَذَا بَاطِلٌ قَطْعًا فَإِنَّ مَنْ صَدَّقَ الرَّسُولَ وَأَبْغَضَهُ وَعَادَاهُ بِقَلْبِهِ وَبَدَنِهِ فَهُوَ كَافِرٌ قَطْعًا بِالضَّرُورَةِ ا.هـ

وقال رحمه الله :

---

[114] انظر درء الفتنة عن أهل السنة (ص/39) ومزيد من اللوازم الباطلة لمذهب المرجئة

قد ذكرها شيخ الإسلام فى مجموع الفتاوى(7/188_ 190)

[115] السنة لعبد الله (1/313) والأزارقة هم الخوارج.

ذ

وقَال تَعَالَى { إنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } . وَ "
أَيْضًا " فَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : { مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ{ . وَفِي رِوَايَةٍ (وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ الْإِيمَانِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ } . فَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ الْقَلْبَ إذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ بُغْضُ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ مِنْ الْمُنْكَرَاتِ كَانَ عَادِمًا لِلْإِيمَانِ وَالْبُغْضُ وَالْحُبُّ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ . وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ إبْلِيسَ وَنَحْوَهُ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ - حَرَّمَ هَذِهِ الْأُمُورَ وَلَا يُبْغِضُونَهَا بَلْ يَدْعُونَ إلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ .[116]

- ***وقال رحمه الله :***
وَالْمُرْجِئَةُ " الَّذِينَ قَالُوا : الْإِيمَانُ تَصْدِيقُ الْقَلْبِ وَقَوْلُ اللِّسَانِ وَالْأَعْمَالُ لَيْسَتْ مِنْهُ كَانَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ مِنْ فُقَهَاءِ الْكُوفَةِ وَعُبَّادِهَا ؛ وَلَمْ يَكُنْ قَوْلُهُمْ مِثْلَ قَوْلِ جَهْمٍ ؛ فَعَرَفُوا أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا إنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِالْإِيمَانِ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ . وَعَرَفُوا أَنَّ إبْلِيسَ وَفِرْعَوْنَ وَغَيْرَهُمَا كُفَّارٌ مَعَ تَصْدِيقِ قُلُوبِهِمْ لَكِنَّهُمْ إذَا لَمْ يُدْخِلُوا أَعْمَالَ الْقُلُوبِ فِي الْإِيمَانِ لَزِمَهُمْ قَوْلُ جَهْمٍ وَإِنْ أَدْخَلُوهَا فِي الْإِيمَانِ لَزِمَهُمْ دُخُولُ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ أَيْضًا فَإِنَّهَا لَازِمَةٌ لَهَا .[117]

---
[116] وانظر مجموع الفتاوى(7/555)
[117] مجموع الفتاوى(7/194)

ذ

يقول ابن القيم:
أهل السنة مجمعون على زوال الإيمان وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب وهو محبته وانقياده ،كما لم ينفع إبليس وفرعون واليهود الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول – صلى الله عليه وسلم ا .هـ [118]

سئل سُفْيَانُ بْنَ عُيَيْنَةَ عَنِ الْإِرْجَاءِ، فَقَالَ: **" يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ، وَنَحْنُ نَقُولُ الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَالْمُرْجِئَةُ أَوْجَبُوا الْجَنَّةَ لِمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُصِرًّا بِقَلْبِهِ عَلَى تَرْكِ الْفَرَائِضِ، وَسَمُّوا تَرْكَ الْفَرَائِضِ ذَنْبًا بِمَنْزِلَةِ رُكُوبِ الْمَحَارِمِ وَلَيْسَ بِسَوَاءٍ لِأَنَّ رُكُوبَ الْمَحَارِمِ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْلَالٍ مَعْصِيَةٌ، وَتَرْكُ الْفَرَائِضِ مُتَعَمِّدًا مِنْ غَيْرِ جَهْلٍ وَلَا عُذْرٍ هُوَ كُفْرٌ.ا.هـ [119] .**

_ *قال شيخ الإسلام :
وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ إيمَانَ الْقَلْبِ التَّامِّ يَسْتَلْزِمُ الْعَمَلَ الظَّاهِرَ بِحَسَبِهِ لَا مَحَالَةَ وَيَمْتَنِعُ أَنْ يَقُومَ بِالْقَلْبِ إيمَانٌ تَامٌّ بِدُونِ عَمَلٍ ظَاهِرٍ ؛ وَلِهَذَا صَارُوا يُقَدِّرُونَ مَسَائِلَ يَمْتَنِعُ وُقُوعُهَا لِعَدَمِ تَحَقُّقِ الِارْتِبَاطِ الَّذِي بَيْنَ الْبَدَنِ وَالْقَلْبِ مِثْلَ أَنْ يَقُولُوا : رَجُلٌ فِي قَلْبِهِ مِنْ الْإِيمَانِ مِثْلَ مَا فِي قَلْبِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَهُوَ لَا يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً وَلَا يَصُومُ رَمَضَانَ وَيَزْنِي بِأُمِّهِ وَأُخْتِهِ وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ نَهَارَ رَمَضَانَ ؛ يَقُولُونَ : هَذَا

---

[118] الصلاة وحكم تاركها (ص/ 56)وقراءة نقدية لظاهرة الارجاء (304)

[119] وانظر السنة لعبد الله بن أحمد (ص/347) والتوسط والإقتصاد أن الشرك يكون بالقول والفعل والاعتقاد (ص/26)

مُؤْمِنٌ تَامُّ الْإِيمَانِ فَيَبْقَى سَائِرُ الْمُؤْمِنِينَ يُنْكِرُونَ ذَلِكَ غَايَةَ الْإِنْكَارِ [120].

قال الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَلْخٍ الشَّافِعِيَّ عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ لِلرَّجُلِ: «فَمَا تَقُولُ أَنْتَ فِيهِ». قَالَ: أَقُولُ: إِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ. قَالَ: «وَمِنْ أَيْنَ؟ قُلْتَ» قَالَ: مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} فَصَارَتِ الْوَاوُ فَصْلًا بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ، فَالْإِيمَانُ قَوْلٌ، وَالْأَعْمَالُ شَرَائِعُهُ. فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: «وَعِنْدَكَ الْوَاوُ فَصْلٌ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: " فَإِذًا كُنْتَ تَعْبُدُ إِلَهَيْنِ إِلَهًا فِي الْمَشْرِقِ وَإِلَهًا فِي الْمَغْرِبِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: {رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ} فَغَضِبَ الرَّجُلُ وَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَجَعَلْتَنِي وَثَنِيًّا ؟ فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: «بَلْ أَنْتَ جَعَلْتَ نَفْسَكَ كَذَلِكَ»، قَالَ: كَيْفَ؟ قَالَ: «بِزَعْمِكَ أَنَّ الْوَاوَ فَصْلٌ». فَقَالَ الرَّجُلُ: فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا قُلْتُ، بَلْ لَا أَعْبُدُ إِلَّا رَبًّا وَاحِدًا، وَلَا أَقُولُ بَعْدَ الْيَوْمِ إِنَّ الْوَاوَ فَصْلٌ، بَلْ أَقُولُ: إِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ قَالَ الرَّبِيعُ: فَأَنْفَقَ عَلَى بَابِ الشَّافِعِيِّ مَالًا عَظِيمًا، وَجَمَعَ كُتُبَ الشَّافِعِيِّ، وَخَرَجَ مِنْ مِصْرَ سُنِّيًّا [121] .

***قال إسحاق بن راهويه* :**

غلت المرجئة حتى صار من قولهم : إن قوماً يقولون : من ترك الصلوات المكتوبات وصوم رمضان والزكاة والحج وعامة الفرائض من غير جحود لها لا نكفره ، يرجى أمره إلى الله بعد ، إذ

[120] المصدر السابق (7/204)

[121] انظر حلية الأولياء (9/110) وبراءة أهل السنة من بدعة المرجئة (ص/96)

ذ

هو مقر ، فهؤلاء الذين لا شك فيهم - يعني في أنهم مرجئة .ا.هـ[122]

قَالَ الزُّهْرِيِّ **: كُنَّا نَقُولُ الْإِسْلَامُ بِالْإِقْرَارِ وَالْإِيمَانُ بِالْعَمَلِ وَالْإِيمَانُ : قَوْلٌ وَعَمَلٌ قَرِينَانِ لَا يَنْفَعُ أَحَدُهُمَا إلَّا بِالْآخَرِ وَمَا مِنْ أَحَدٍ إلَّا يُوزَنُ قَوْلُهُ وَعَمَلُهُ ؛ فَإِنْ كَانَ عَمَلُهُ أَوْزَنَ مِنْ قَوْلِهِ : صَعِدَ إلَى اللَّهِ ؛ وَإِنْ كَانَ كَلَامُهُ أَوْزَنَ مِنْ عَمَلِهِ لَمْ يَصْعَدْ إلَى اللَّهِ** [123].

قال الأوزاعى :

يقولون- أى المرجئة - **إن فرائض الله عز وجل على عباده ليست من الإيمان ، وأن الإيمان قد يطلب بلا عمل ، وقال : وإن الناس لا يتفاضلون في إيمانهم ، وأن برهم وفاجرهم في الإيمان سواء ، وما هكذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بلغنا أنه قال : " الإيمان بضع وسبعون ، أولها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان " وقال الله عز وجل أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه . الدين هو التصديق ، وهو الإيمان والعمل ، فوصف الله الدين قولاً وعملاً ،فقال : فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ،والتوبة من الشرك ، وهو من الإيمان ، والصلاة والزكاة عمل »** [124].

قال سفيان الثوري : خلاف ما بيننا وبين المرجئة ثلاث يقولون الإيمان قول ولا عمل ونقول قول وعمل ونقول أنه يزيد

---

[122] مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه لحرب الكرماني (ص / 377)

[123] **مجموع الفتاوى** (7/295)

[124] انظر السنة للخلال(3/83)وسنده صحيح ،وانظر براءة أهل الحديث(155)

وينقص وهم يقولون لا يزيد ولا ينقص ونحن نقول النفاق وهم يقولون لا نفاق.ا.هـ [125].

**** قال ابن بطة العكبري :**

حَسْبُكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ - بِآيَةٍ جَمَعَتْ كُلَّ قَوْلٍ طَيِّبٍ , وَكُلَّ عَمَلٍ صَالِحٍ , * قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} فَإِنَّهُ جَمَعَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْقَوْلَ وَالْعَمَلَ وَالْإِخْلَاصَ وَالطَّاعَةَ لِعِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ , وَالْإِيمَانَ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ , وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ , فَهَلْ لِلْعِبَادَةِ الَّتِي خَلَقَ اللَّهُ الْعِبَادَ لَهَا عَمَلٌ غَيْرُ عَمَلٍ مِنَ الْإِيمَانِ , فَلَوْ كَانَتِ الْعِبَادَةُ الَّتِي خَلَقَهُمُ اللَّهُ لَهَا قَوْلًا بِغَيْرِ عَمَلٍ لَمَا أَسْمَاهَا عِبَادَةً , وَلَسَمَّاهَا قَوْلًا , وَلَقَالَ: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَقُولُونِ , وَلَيْسَ يَشُكُّ الْعُقَلَاءُ أَنَّ الْعِبَادَةَ خِدْمَةٌ , وَأَنَّ الْخِدْمَةَ عَمَلٌ , وَأَنَّ الْعَامِلَ مَعَ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- إِنَّمَا عَمَلُهُ أَدَاءُ الْفَرَائِضِ , وَاجْتِنَابُ الْمَحَارِمِ وَطَاعَةُ اللَّهِ فِيمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ شَرَائِعِ الدِّينِ وَأَدَاءِ الْفَرَائِضِ , وَقَالَ لِنَبِيِّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام: 162]. وَقَالَ: {وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [الأنعام: 71]. وَإِقَامُ الصَّلَاةِ هُوَ الْعَمَلُ , وَهُوَ الدِّينُ الَّذِي أَرْسَلَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ , فَمَا ظَنُّكُمْ بِمَنْ يَقُولُ: إِنَّ الصَّلَاةَ لَيْسَتْ مِنَ الْإِيمَانِ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: {مُنِيبِينَ**

---

[125] تذكرة الحفاظ(2/46) ومعنى قول الإمام : " *ونحن نقول النفاق وهم يقولون ":* لا نفاق " :أن المرجئة لما حصروا الإيمان في تصديق القلب ، لم يقولوا بالنفاق العملي ، وأما أهل السنة فيقولون بالنفاق بنوعيه ، الاعتقادي والعملي .

ذ

إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [الروم: 31]. فَجَعَلَ اللَّهُ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُشْرِكًا خَارِجًا مِنَ الْإِيمَانِ. فَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ لَمْ تَنْفَعْهُ الصَّلَاةُ , وَمَنْ لَمْ يُصَلِّ لَمْ يَنْفَعْهُ الْإِيمَانُ ، فَقَدْ تَلَوْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا يَدُلُّ الْعُقَلَاءَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ , وَأَنَّ مَنْ صَدَّقَ بِالْقَوْلِ وَتَرَكَ الْعَمَلَ كَانَ مُكَذِّبًا, وَخَارِجًا مِنَ الْإِيمَانِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ قَوْلًا إِلَّا بِعَمَلٍ , وَلَا عَمَلًا إِلَّا بِقَوْلٍ .ا .هـ[126].

***قال ابن رجب:**
وقد كان طائفة من المرجئة يقولون : الإيمان قول وعمل - موافقة لأهل الحديث - ، ثم يفسرون العمل بالقول ويقولون : هو عمل اللسان . وقد ذكر الإمام أحمد هذا القول عن شبابه بن سوار وأنكره عليه ، وقال : هو أخبث قول ، ما سمعت أن أحداً قال به ولا بلغني ، يعني أنه بدعة لم يقله أحد ممن سلف.[127] .

- الإيمان عند مرجئة الفقهاء:-

الإيمان عندهم هو تصديق القلب وقول اللسان ، أما عمل الجوارح فهو خارج عن مسمى الإيمان ، مع قولهم أن مرتكب الكبيرة معرض للوعيد وهو تحت المشيئة [128] .

[126] انظر الإبانة الكبرى(2/792)وبراءة أهل الحديث(1/90)والإيمان عند السلف(2/22)

[127] شرح فتح البارى (1/ 62)وبراءة أهل الحديث من بدعة المرجئة (ص/ 325)

[128] وأما عمل القلب فمنهم من يدخله فى الإيمان ومنهم من يجعله خارجاً عنه.

ذ

فأعمال الجوارح عندهم ليست من الإيمان ولكنها من لوازمه، فالعلاقة بينهما كعلاقة دائرتين متلازمتين لا تنفك إحدهما عن الأخرى،ويقولون: انتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم [129] .

<u>وعليه:</u>

فالناس عندهم فى أصل الإيمان سواء، وإنما التفاضل فى لازم الإيمان،الذى هو العمل ، فهم يتفاضلون فى الجنة بحسب أعمالهم الظاهرة، وهذا ما نص عليه صاحب الطحاوية. وأما صاحب الكبيرة فقالوا :فهو تحت المشيئة ، ويُخشى عليه من العذاب.

***** الخلاف بين أهل السنة ومرجئة الفقهاء:** [130]

من العلماء من ذهب إلى أن الخلاف بين أهل السنة ومرجئة الفقهاء خلاف صورى ، ومنهم ابن أبى العز الحنفى فى شرح الطحاوية ، وكذلك الذهبى فى السير[131].

******نقول : وبيان ذلك فيما يلي :***

(1) ***وافق مرجئة الفقهاء أهل السنة فى أمور*** :

(ادخال اعتقاد القلب والنطق باللسان في الإيمان - وأن أهل الكبائر تحت الوعيد والعذاب– الإيمان مع ترك العمل يعرض صاحبه للذم والعقاب)

---

[129] انظرحقيقة الإيمان(ص/36)

[130] فائدة:- مرجئة الفقهاء على رأسهم حماد بن أبى سليمان وأبو حنيفة، فإن قول أبى حنيفة بالإرجاء ثابت عنه، أثبته معاصروه ومن جاء بعده، وأما ما نسب إليه من كتاب الفقه الأكبر والوصية، وهى كتب شملت على جملة من المخالفات لمنهج أهل السنة، ففى سنده مجاهيل،وثبوتها إليه فيه نظر.

[131] فى حين أن ابن باز والألبانى – رحمهما الله - قالوا بأن الخلاف حقيقى بين الفريقين، والصحيح التفصيل المذكور أعلاه.

ذ

(2)وأما مواضع الخلاف فتمثل فيما يلي :

أ) ***قولهم بالتساوى بين الناس فى الإيمان*** : فجعلوا إيمان أفجر الناس كإيمان جبريل ، فمرتكب الكبيرة مؤمن تام الإيمان إيمانه كإيمان كجبريل ،وأهل السنة يقولون :أن مرتكب الكبيرة مؤمن بأصل إيمانه ،فاسق بكبيرته.[132]

ب) ***فيمن قال ولم يعمل*** : فهو عند مرجئة الفقهاء مؤمن كامل الإيمان ؛ لأنه أتى بما يمنعه من الخلود فى النار وهو الإعتقاد والقول، ومستحق للذم لتركه عمل الجوارح،وأما أهل السنة فيعدونه كافراً لتركه عمل الجوارح كليةً .

.

****** لذا فالقول ما قاله شيخ الإسلام أن الخلاف بين أهل السنة ومرجئة الفقهاء منه خلاف لفظى وآخر حقيقى، قال- رحمه الله*** - : وَكَانَتْ هَذِهِ الْبِدْعَةُ أَخَفَّ الْبِدَعِ ؛ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ النِّزَاعِ فِيهَا نِزَاعٌ فِي الِاسْمِ وَاللَّفْظِ دُونَ الْحُكْمِ ؛ إذْ كَانَ الْفُقَهَاءُ الَّذِينَ يُضَافُ إلَيْهِمْ هَذَا الْقَوْلُ مِثْلَ حَمَّادِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَغَيْرِهِمَا هُمْ مَعَ سَائِرِ أَهْلِ السُّنَّةِ مُتَّفِقِينَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ مَنْ يُعَذِّبُهُ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ بِالنَّارِ ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ بِالشَّفَاعَةِ ، كَمَا جَاءَتْ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ بِذَلِكَ. وَعَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ فِي الْإِيمَانِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِلِسَانِهِ . وَعَلَى أَنَّ الْأَعْمَالَ الْمَفْرُوضَةَ وَاجِبَةٌ

---

[132] مع قولهم أنه مستحق لدخول النار، فهم يخالفون أهل الحديث فى الإسم لا الحكم، يقول شيخ الإسلام :فهؤلاء –أي المرجئة -لا ينازعون أهل السنة والحديث في حكمه في الآخرة ، وإنما ينازعونهم في الإسم ،وينازعون أيضا فيمن قال ولم يفعل ، وكثير من متكلمة المرجئة تقول لا نعلم أن أحداً من أهل القبلة من أهل الكبائر يدخل النار، ولا أن أحداً منهم لا يدخلها ، بل يجوز أن يدخلها جميع الفساق ويجوز أن لا يدخلها أحد منهم ويجوز دخول بعضهم . ا.هـ انظر منهاج السنة(5/150) وشرح العقيدة الأصفهانية (ص/138) وبراءة أهل الحديث من بدعة الإرجاء (ص/261)

وَتَارِكُهَا مُسْتَحِقٌّ لِلذَّمِّ وَالْعِقَابِ ، فَكَانَ فِي الْأَعْمَالِ هَلْ هِيَ مِنْ الْإِيمَانِ وَفِي الِاسْتِثْنَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ عَامَّتُهُ نِزَاعٌ لَفْظِيٌّ ؛ فَإِنَّ الْإِيمَانَ إذَا أُطْلِقَ دَخَلَتْ فِيهِ الْأَعْمَالُ ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- { الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً - أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً - أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ } وَإِذَا عُطِفَ عَلَيْهِ الْعَمَلُ كَقَوْلِهِ : { إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } فَقَدْ ذُكِرَ مُقَيَّدًا بِالْعَطْفِ فَهُنَا قَدْ يُقَالُ : الْأَعْمَالُ دَخَلَتْ فِيهِ وَعُطِفَتْ عَطْفَ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ وَقَدْ يُقَالُ : لَمْ تَدْخُلْ فِيهِ وَلَكِنْ مَعَ الْعَطْفِ كَمَا فِي اسْمِ الْفَقِيرِ وَالْمِسْكِينِ - إذَا أُفْرِدَ أَحَدُهُمَا تَنَاوَلَ الْآخَرَ وَإِذَا عُطِفَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ فَهُمَا صِنْفَانِ كَمَا فِي آيَةِ الصَّدَقَاتِ كَقَوْلِهِ : { إنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ } وَكَمَا فِي آيَةِ الْكَفَّارَةِ كَقَوْلِهِ : { فَكَفَّارَتُهُ إطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ } وَفِي قَوْلِهِ : { وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ } فَالْفَقِيرُ وَالْمِسْكِينُ شَيْءٌ وَاحِدٌ . وَهَذَا التَّفْصِيلُ فِي الْإِيمَانِ هُوَ كَذَلِكَ فِي لَفْظِ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَالْمَعْرُوفِ وَفِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَالْمُنْكَرِ تَخْتَلِفُ دَلَالَتُهَا فِي الْإِفْرَادِ وَالِاقْتِرَانِ لِمَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ ، وَقَدْ بُسِطَ هَذَا بَسْطًا كَبِيرًا شَرْحِ حَدِيثِ جِبْرِيلَ الَّذِي فِيهِ بَيَانُ أَنَّ الْإِيمَانَ أَصْلُهُ فِي الْقَلْبِ ؛ وَهُوَ الْإِيمَانُ بِاَللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ كَمَا فِي الْمُسْنَدِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : { الْإِسْلَامُ عَلَانِيَةٌ وَالْإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ } وَقَدْ قَالَ النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : { أَلَا إنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ } فَإِذَا كَانَ الْإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ فَقَدْ صَلَحَ الْقَلْبُ

ذ

فَيَجِبُ أَنْ يَصْلُحَ سَائِرُ .
لْجَسَدِ ؛ فَلِذَلِكَ هُوَ ثَمَرَةُ مَا فِي الْقَلْبِ[133]. ا.**هـ**

*وإذا نظرنا إلى العلة التى من أجلها ذهب مرجئة الفقهاء إلى جعل أعمال الجوارح ليست داخلة فى مسمى الإيمان،فهى علة عليلة نص عليها أحد أئمتهم،فقال: عدُّ العمل ركناً يجر إلى معتقد الخوارج والمعتزلة !!

_ فائدة :

فرق بين أن تجعل أعمال الجوارح ركناً فيبطل الإيمان بتركها كليةً ، وهو ما تفيده نصوص الشرع ،وهو مذهب أهل السنة ، وبين أن تجعل أعمال الجوارح ركناً يبطل الإيمان بترك أى واحدة منها، كالزكاة أوالصوم أو بر الوالدين مثلاً ، وهو مذهب الخوارج والمعتزلة الذين يكفرون بترك أى واجب من واجبات الشرع أو إيتاء كبيرة من الكبائر. فتأمل

<u>*الرد على مرجئة الفقهاء :</u>

1- ***أما قولهم : الناس فى أصل الإيمان سواء، والتفاضل فى لازم الإيمان*** !! [134] ***فجوابه*** : أن التفاضل ليس فقط فى عمل الجوارح ، بل أيضاً فى عمل

[133] مجموع الفتاوى(13/38_ 39)

[134] وهذا مما قد نص عليه صاحب الطحاوية ،فقال :"والإيمان واحد. وأهله فيه سواء"
وهذا غلط؛ لأن الإيمان ليس واحداً، وليس أهله سواء، بل الإيمان يتفاضل، ويزيد وينقص، والتصديق بالقلب ليس الناس فيه سواءً، فليس إيمان أبي بكر الصديق كإيمان الفاسق من المسلمين؛ لأن الفاسق من المسلمين إيمانه ضعيف جداً، وإيمان أبي بكر الصديق ليس كإيمان غيره ، فليس الناس في أصله سواءً. هذا من ناحية أصله.

القلب ، فنفس تصديق القلب يزيد وينقص ، ومن أدلة ذلك :
1- عنْ أَنَسٍ - رضي الله عنه - عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ : يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ [135] .
***** قال عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- يوم الحديبية*** :
وَاللَّهِ مَا شَكَكْتُ ـ مُنْذُ أَسْلَمْتُ ـ إِلَّا يَوْمَئِذٍ [136] . وهو - **رضى الله عنه-** لم يشك فى رسالة النبى -صلى الله عليه وسلم - فهو على يقين من ذلك، وإنما شك أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد جانبه الصواب فى اجتهاده لما قبل الصلح على هذه الشروط .
******* وفي (صحيح مسلم) وغيره قصة أبي ابن كعب -رضي الله عنه- في اختلاف القراءة بين القرَّاء ، وفيها قوله: «فسقط في نفسي من التكذيب في الجاهلية، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما قد غشيني ضرب

كذلك من ناحية العمل، الناس يتفاضلون في العمل، منهم كما قال الله عز وجل: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه) [فاطر: 32] هذا العاصي الذي معصيته دون الشرك، فإنه ظالم لنفسه؛ لأنه معرض نفس للخطر (ومنهم مقتصد) وهو الذي يعمل الواجبات ويتجنب المحرمات.(ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله) وهذا هو الذي يعمل الواجبات والمستحبات، ويترك المحرمات والمكروهات وبعض المباحات من باب الاحتياط. فالأمة ليست سواء، فصارت ثلاث طوائف، فمنها الظالم لنفسه، ومنها المقتصد، ومنها السابق بالخيرات، فدل على أن الإيمان متفاضل.وانظر التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية للفوزان(ص/145)

[135] أخرجه البخاري (42) وترجم له البخاري بقوله **"باب : زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى"**

[136] أخرجه ابن حبان (7/222) وصححه الألباني .

في صدري، ففضت عرقاً، وكأنما أنظر إلى الله فرقاً..»[137]
* ولا يرتاب عاقل أن إيمان هذا الصحابي الجليل عند تلك الغشية دون إيمانه قبلها وبعدها. وقد عرض لعمر بن الخطاب وغيره قصة الحديبية ما يشبه ذلك. وفي حديث الرجل الذي قاتل مع النبي -صلى الله عليه وسلم: هو من أهل النار: «فكاد بعض الناس يرتاب» .
ولا يرتاب عاقل أن المؤمنين يتفاوتون في التقوى تفاوتاً عظيماً، وأعظم أسباب ذلك تفاوتهم في اليقين ، فإننا نرى أحوالهم في اتقاء الضرر الدنيوي لا يتفاوت ذاك التفاوت.
بل إنك تجد من نفسك أنه قد يقوى فترغب نفسك في الطاعة وعن المعصية، وقد يضعف فتتهاون بذلك.
وكذلك تجد ذلك عندما تطلع على الأدلة أو الشبهات، فقد يقف العالم على عدة نصوص من الكتاب والسنة فيتبين له أن بعضها يصدق بعضاً، وقد يتراءى له أنها تتناقض. وقد يرى نصوصاً في العقائد، فيتبين له أن العقل موافق لها وقد يتراءى له أنه يخالفها. ويرى نصوصاً في الأحكام فيتبين له أنها موافقة للرأي والنظر والحكمة والقياس، وقد يتراءى له أنها مخالفة لذلك. ولا أدرى عاقلاً يتصور حاله وحال الملائكة والأنبياء ويقول: إن يقينه مثل يقينهم.ا.هـ [138] .
يقول شيخ الإسلام :
" وَالْمُرْجِئَةُ " الَّذِينَ قَالُوا : الْإِيمَانُ تَصْدِيقُ الْقَلْبِ وَقَوْلُ اللِّسَانِ وَالْأَعْمَالُ لَيْسَتْ مِنْهُ ، كَانَ مِنْهُمْ

---

[137]) وقد قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ مَعْنَى قَوْلِهِ سُقِطَ فِي نَفْسِي أَنَّهُ اعْتَرَتْهُ حِيرَةٌ وَدَهْشَةٌ قَالَ وَقَوْلُهُ وَلَا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَعْنَاهُ أَنَّ الشَّيْطَانَ نَزَغَ فِي نَفْسِهِ تَكْذِيبًا لَمْ يَعْتَقِدْهُ قَالَ وَهَذِهِ الْخَوَاطِرُ إِذَا لَمْ يَسْتَمِرَّ عَلَيْهَا لَا يُؤَاخَذُ بِهَا ا.هـ شرح مسلم للنووي(6/102)
[138] القائد إلى تصحيح العقائد(ص/129)

طَائِفَةٌ مِنْ فُقَهَاءِ الْكُوفَةِ وَعُبَّادِهَا ؛ وَلَمْ يَكُنْ قَوْلُهُمْ مِثْلَ قَوْلِ جَهْمٍ ؛ فَعَرَفُوا أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا إنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِالْإِيمَانِ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ . وَعَرَفُوا أَنَّ إبْلِيسَ وَفِرْعَوْنَ وَغَيْرَهُمَا كُفَّارٌ مَعَ تَصْدِيقِ قُلُوبِهِمْ لَكِنَّهُمْ إذَا لَمْ يُدْخِلُوا أَعْمَالَ الْقُلُوبِ فِي الْإِيمَانِ لَزِمَهُمْ قَوْلُ جَهْمٍ وَإِنْ أَدْخَلُوهَا فِي الْإِيمَانِ لَزِمَهُمْ دُخُولُ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ أَيْضًا فَإِنَّهَا لَازِمَةٌ لَهَا وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ لَهُمْ حُجَجٌ شَرْعِيَّةٌ بِسَبَبِهَا اشْتَبَهَ الْأَمْرُ عَلَيْهِم [139] .

***قال الفضيل بن عياض:* وقَالَ أَصْحَابُ الرَّأْيِ: لَيْسَ الصَّلَاةُ وَلَا الزَّكَاةُ وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْفَرَائِضِ مِنَ الْإِيمَانِ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَخِلَافًا لِكِتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَلَوْ كَانَ الْقَوْلُ كَمَا يَقُولُونَ لَمْ يُقَاتِلْ أَبُو بَكْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَهْلَ الرِّدَّةِ " [140]**

•

****** شبهات أخرى لكافة فرق مرجئة :***

<u>الأولى</u> :قالوا: العمل ليس من الإيمان ؛ لأن الله فرَّق بينهما فقال (الذين آمنوا وعملوا الصالحات)

***الرد ـ:* هذا من باب عطف العام على الخاص ، ورَد نظير ذلك ، قال تعالى(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة/277) وقال تعالى (وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا**

---

[139] وانظر مجموع الفتاوى (7/194)

[140] وانظر السنة لعبد الله (818) وبراءة أهل الحديث(ص/161)

الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3) وقول النبى -صلى الله عليه وسلم-(اتقوا الدنيا واتقوا النساء..........) ولازم قولكم أن فتنة النساء ليست من فتن الدنيا. وَكَقَوْلِه تَعَالَى {من كَانَ عدوا لله وَمَلَائِكَته وَرُسُله وَجِبْرِيل وميكال فَإِن الله عَدو للْكَافِرِينَ} وَلَا خلاف فِي أَن جِبْرِيل وَمِيكَائِيل من جملَة الْمَلَائِكَة وَكَقَوْلِه تَعَالَى {فيهمَا فَاكِهَة ونخل ورمان} وَالرُّمَّان من الْفَاكِهَة ، وَالْقُرْآن نزل بلغَة الْعَرَب ، وَالْعرب تعيد الشَّيْء باسمه وَإِن كَانَت قد أجملت ذكره تَأْكِيدًا لأَمره [141] .

<u>ثانياً:</u> إعمال الأدلة أولى من إهمالها ،وكافة النصوص الأخرى دلت أن الإيمان قول وعمل، فهذا ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

<u>*الشبهة الثانية*</u> :حديث جبريل – عليه السلام-في بيان الإسلام والإيمان والإحسان ؛حيث جعل أعمال الجوارح ، من الصوم والزكاة والصيام والحج ليست من الإيمان!!! ***** وجواب ذلك ما قاله البغوي – رحمه الله -:*** **جَعَلَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فِي هَذَا الْحَدِيثِ الإِسْلامَ اسْمًا لِمَا ظَهَرَ مِنَ الأَعْمَالِ، وَجَعَلَ الإِيمَانَ اسْمًا لِمَا بَطَنَ مِنَ الاعْتِقَادِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ، لأَنَّ الأَعْمَالَ لَيْسَتْ مِنَ الإِيمَانِ، أَوِ التَّصْدِيقَ بِالْقَلْبِ لَيْسَ مِنَ الإِسْلامِ، بَلْ ذَلِكَ تَفْصِيلٌ لِجُمْلَةٍ هِيَ كُلُّهَا شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَجِمَاعُهَا الدِّينُ، وَلِذَلِكَ قَالَ: «ذَاكَ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ».**

وَالتَّصْدِيقُ وَالْعَمَلُ يَتَنَاوَلُهُمَا اسْمُ الإِيمَانِ وَالإِسْلامِ جَمِيعًا، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ} [آل عمرَان: 19]، {وَرَضِيتُ لَكُمُ

---

[141] الفصل في الملل والأهواء والنحل(3/124)

ذ

الإِسْلامَ دِينًا} [الْمَائِدَة: 3]، {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} [آل عمرَان: 85] فَأَخْبَرَ أَنَّ الدِّينَ الَّذِي رَضِيَهُ وَيَقْبَلُهُ مِنْ عِبَادِهِ هُوَ الإِسْلامُ، وَلَنْ يَكُونَ الدِّينُ فِي مَحَلِّ الْقَبُولِ وَالرِّضَا إِلا بِانْضِمَامِ التَّصْدِيقِ إِلَى الْعَمَلِ .[142].

__الشبهة الثالثة__ **:قوله تعالى (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) فجعل محل الإيمان هو القلب ، وعمل الجوارح ليست من الإيمان !!!**

**** *وجواب ذلك أن يقال* :ليس في الآية ما يشير إلى إخراج عمل الجوارح من الإيمان ، بل غاية ما فيها هو التأكيد على ضرورة الاعتقاد القلبي في ثبوت الإيمان ، فالآية في الحقيقة حجة على من استدل بها ، لا حجة له ؛ وذلك من وجهين :**

1- الأول : ما ذكره الطبري بقوله :إنما أمر النبيّ - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم –بذلك ؛ لأن القوم كانوا صدَّقوا بألسنتهم، ولم يَصدّقوا قولهم بفعلهم، فقيل لهم: قولوا أسلمنا ؛ لأن الإسلام قول، والإيمان قول وعمل. فهذا أولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك ، وهو مذكور عن الزهريّ ، وهو أن الله تقدّم إلى هؤلاء الأعراب الذين دخلوا في الملة إقرارا منهم بالقول، ولم يحققوا قولهم بعملهم أن يقولوا بالإطلاق آمنا دون تقييد قولهم بذلك بأن يقولوا آمنا بالله ورسوله، ولكن أمرهم أن يقولوا القول الذي لا يشكل على سامعيه والذي قائله فيه محقّ، وهو أن يقولوا أسلمنا، بمعنى: دخلنا في الملة لحفظ الأنفس والأموال بالشهادة الحق [143] .

---

[142] شرح السنة(1/11)

[143] بتصرف يسير من جامع البيان في تأويل القرآن(22/313)

2- الثاني :ما ذُكر في الآية التي تليها مباشرة ، في قوله تعالى { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادقون } فلقد جعل الجهاد بالنفس والمال من الإيمان ،وهى أعمال جوارح ،فتأمل . *فائدة* : اعلم أن من قال بإحدى هذه العبارات فقد وقع في الإرجاء أو دخلت عليه شبهته:
1- الإيمان تصديق بالقلب فقط. (جهمية)
2- الإيمان نطق باللسان فقط. (كرَّامية)
3- الإيمان تصديق بالقلب ونطق باللسان (مرجئة الفقهاء)
4- الإيمان تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالقلب دون الجوارح.
5- الإيمان لا يزيد ولا ينقص والناس في أصله سواء.
6- الكفر تكذيب فقط (جهمية)
7- الكفر لا يكون إلا بالاعتقاد أوالجحود والاستحلال، ويستشهدون بقول الطحاوي رحمه الله في عقيدته: ((ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، مالم يستحله)) .
(والصواب أن يقال: الكفر يكون بالقول أو الفعل أو الاعتقاد، ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب -دون الشرك أو الكفر-، مالم يستحله) .[144]

****** <u>الإيمان عند الأشاعرة والماتريدية</u> :***

أما الإيمان عند الأشاعرة فهو التصديق ،وأنَّ قول اللسان شرط لإجراء الأحكام الدنيوية ، من التوارث والتناكح

[144] وانظر شرح الواسطية لخليل هرّاس بتعليقات الشيخ الأنصاري وعبد الرزاق عفيفي(ص/231)

والصلاة خلفه وعليه ودفنه في مقابر المسلمين ،وأما إذا صدَّق ولم ينطق بالإيمان فهو مؤمن في الآخرة باعتقاده تصديقه ،لكن تجري عليه أحكام الكفار في الدنيا ،وذلك إذا امتنع عن النطق بالشهادتين ، وأما عمل الجوارح فهو شرط كمال فى الإيمان ،وعلة ذلك عندهم أنهم يقولون أنَّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص ولا يتجزأ.

وعليه قالوا : فالإيمان لا يكون محله إلا القلب ؛ لأنَّ أعمال الجوارح وقول اللسان فقط هى التي تكون قابلة للزيادة والنقصان. [145]

قال البيجورى :

والعمل شرط كمال من المختار عند أهل السنة - يقصد الأشاعرة - فمن أتى به حصَّل الكمال ، ومن تركه فهو مؤمن ، لكنه فوَّت على نفسه الكمال ، إذ لم يكن مع ذلك استحلال أو عناد للشرع أو شك ،إلا فهو كافر فيما عُلِم من الدين بالضرورة . ا.هـ [146]

___ الرد على الأشاعرة في قولهم أن الإيمان هو التصديق :___**

[145] وإن كان صاحب جوهرة التوحيد قد رجح أن قول اللسان مع تصديق القلب شرط فى صحة الإيمان، ولكنَّ الأشاعرة فيما ذهبوا إليه فى مسألة الإيمان غير ملزمين بالقول بإيمان أبى طالب مثلاً ؛ لأنهم يقولون أن الذى يُطلب منه قول اللسان فيتركه إباءً فهو كافر. وقد ذكرنا فيما سبق ضعف قولهم بأن قول اللسان ليس شرطاً فى صحة الإيمان . فقول اللسان مع عمل القلب وقوله وعمل الجوارح هو الإيمان بإجماع أهل السنة والجماعة .***__فإن__*** ***__قيل__*** :فما الفارق بين قول الجهمية فى الإيمان الذى هو المعرفة وقول الأشاعرة الذى هو التصديق ؟ ***__فالجواب__*** : أنَّ متأخرى الأشاعرة لا يُثبتون تصديقاً مجرداً عن أعمال القلوب بل يُدخلون فى التصديق الإذعان و الإنقياد والقبول والرضى ،كما أنهم يُكفِّرون المشركين الذين عرفوا الحق ولم ينقادوا له.وانظرعقيدة الأشاعرة "نقد جوهرة التوحيد"(ص/89)

[146] شرح جوهرة التوحيد للبيجورى(ص/88)

قولهم أنَّ الإيمان هو التصديق بناءً على ما ذهبوا اليه أنَّ الإيمان لا يزيد و لا ينقص وهذا محله لا يكون إلا فى التصديق !! مردود بأنَّ التصديق القلبى كذلك يزيد وينقص [147] ، فمن صدّق فى الأمور العملية والاعتقادية من أسماء الله وصفاته وأمور الغيب والملائكة يزيد إيمانه عمَّن خلا قلبه من هذا التصديق ؛ لعدم علمه بهذه التفصيلات في مسائل الاعتقاد .

فكلما زاد علم المرء بهذه الأمور وصدّق بها فهو أكمل إيماناً ممَّن لم يعلمها .وعليه فتصديق القلب يتفاوت بين الأشخاص ,يزيد وينقص بقدر ما في الشخص من العلم والتصديق. ***قال النووي*** :

فَالْأَظْهَرُ - وَاَللَّه أَعْلَمُ - أَنَّ نَفْس التَّصْدِيق يَزِيد بِكَثْرَةِ النَّظَر وَتَظَاهُرِ الْأَدِلَّة ، وَلِهَذَا يَكُون إِيمَان الصِّدِّيقِينَ أَقْوَى مِنْ إِيمَان غَيْرهمْ بِحَيْثُ لَا تَعْتَرِيهِمْ الشُّبَهُ ، وَلَا يَتَزَلْزَلُ إِيمَانُهُمْ بِعَارِضٍ ، بَلْ لَا تَزَال قُلُوبُهُمْ مُنْشَرِحَةً نَيِّرَةً وَإِنْ اِخْتَلَفَتْ عَلَيْهِمْ الْأَحْوَال .[148]

قال السبكي :

وقول قائله : لا يشك عاقل في أن إيمان الصديق ليس كإيمان آحاد الناس ؛حق ففرقٌ بين إيمانٍ ثبت ورسخ وصار لا يقبل تزلزلاً ، وإيمان بخلافه [149] .

<u>** الإيمان عند الخوارج والمعتزلة:.</u>**

فهو قول اللسان واعتقاد القلب وعمل الجوارح ، ولكنَّ الفرق بينهم وبين أهل السنة إنما هو في عمل الجوارح ؛

---

[147] وهذا قد سبق ذكر أدلته بما يغني عن إعادته .

[148] شرح مسلم النووي(1/ 69)

[149] وانظر طبقات الشافعية للسبكي(1/ 133) والمسائل التي نقل فيها نقل فيها ابن تيمية الإجماع (ص/537)

حيث أنَّ أهل السنة يجعلون جنس الأعمال ركناً من أركان الإيمان ، وليس كل فرد من أفراده ركناً فيه ، وعليه فإنه يجتمع عندهم في الشخص الواحد حسنات وسيئات.

*** ***وأما المعتزلة والخوارج*** فيرون أنَّ كل فرد من أفراد العمل ركن في الإيمان وجزء منه ، وعليه فإنه لا يجتمع عندهم في الشخص الواحد ثواب وعقاب ؛ لأنَّ من ارتكب كبيرة فقد خرج من الإيمان ودخل في الكفر عند الخوارج ، وصار عند المعتزلة في منزلة بين المنزلتين .[150]

ويقولون الإيمان شئ واحد لا يزيد ولا ينقص ولا يُستثني فيه .[151]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ثُمَّ قَالَتْ " الْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ " الطَّاعَاتُ كُلُّهَا مِنْ الْإِيمَانِ ، فَإِذَا ذَهَبَ بَعْضُهَا ذَهَبَ بَعْضُ الْإِيمَانِ فَذَهَبَ سَائِرُهُ ، فَحَكَمُوا بِأَنَّ صَاحِبَ الْكَبِيرَةِ لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ مِنْ الْإِيمَانِ .[152]

وقال رحمه الله :

أَمَّا الْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ مُطْبِقُونَ عَلَى ذَمِّهِمْ . قِيلَ : أَوَّلًا يَنْبَغِي أَنْ يُعْرَفَ أَنَّ الْقَوْلَ الَّذِي لَمْ يُوَافِقْ الْخَوَارِجَ وَالْمُعْتَزِلَةَ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ هُوَ الْقَوْلُ بِتَخْلِيدِ أَهْلِ الْكَبَائِرِ فِي النَّارِ ؛ فَإِنَّ هَذَا الْقَوْلَ مِنْ الْبِدَعِ الْمَشْهُورَةِ وَقَدْ اتَّفَقَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ ؛ وَسَائِرُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّهُ لَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ

---

[150] والعجب في أمر المعتزلة أن أحد الأصول الخمسة عندهم هو العدل ،وبنوا عليه قولهم بنفي خلق أفعال العباد ، ثم يقولون أن من فعل كبيرة واحدة ألغت جميع الأعمال الصالحة،ولو كانت هذه الأعمال الصالحة أمثال الجبال.

[151] وانظر الإيمان لابن منده(1/331) والفِصل (3/227) ومسائل الإيمان لأبي يعلى(ص/156)

[152] مجموع الفتاوي(7/510)

ذ

أَحَدٌ مِمَّنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إيمَانٍ ، وَاتَّفَقُوا أَيْضًا عَلَى أَنَّ نَبِيَّنَا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَشْفَعُ فِيمَنْ يَأْذَنُ اللَّهُ لَهُ بِالشَّفَاعَةِ فِيهِ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ مَنْ أُمَّتِهِ . فَفِي " الصَّحِيحَيْنِ " عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : { لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ وَإِنِّي اخْتَبَأْت دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [153].

*** وبذا يتضح الفرق بين أهل السنة والمعتزلة والخوارج في هذا الباب حيث أن أهل السنة لم يجعلوا كل الأعمال شرطاً في صحة الإيمان ، بل جعلوا كثيراً منها شرطاً في الكمال ، والمعتزلة جعلوها كلها شرطاً في الصحة .[154]والقاعدة التي توضح لك منهج أهل السنة في ذلك أن يقال . **//جنس الأعمال ركن الإيمان ، لا آحاده إلا بدليل //**

والمعنى :أن الذي يتحقق به الكفر إنما هو ترك العمل كلية ، عمل القلب أو عمل الجوارح ، وليس آحاد العمل ، كما نص عليه الخوارج والمعتزلة ،ثم جاء الاستثناء : إلا بدليل : أي إلا إذا دل الدليل على أن عملاً بعينه يكفر المرء بتركه كلية ، كما هو الحال في ترك الصلاة بالكلية .

*** ***الرد على الخوارج والمعتزلة في قولهم في مسألة الإيمان :*** - فإن فاعل الكبيرة عند أهل السنة لا يكون كافراً ، ولو مات مصراً على ذلك ، بل يثبتون له أصل الإيمان ؛ لكونه لم يأت بناقض له ، وإنما يصفونه بالفسق لإصراره على فعل الكبيرة .

وقد أثبت الشرع اسم الإيمان للمسلمين مع حصول الاقتتال

---

[153] مجموع الفتاوي(7/222)

[154] وانظر معارج القبول (2 / 30) وبراءة أهل الحديث (ص/66) ودرء الفتنة عن أهل السنة(38)

بينهم ، وتوجه إليهم بخطاب أهل الْإِيمَان ، من كَانَ فيهم مِن قَاتل أَو مقتول . وَنَصّ تَعَالَى على أَن الْقَاتِل عمداً وَولي الْمَقْتُول أَخَوان ، وَقد قَالَ تَعَالَى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ أخوة} فصح أَن الْقَاتِل عمداً مُؤمن بِنَصّ الْقُرْآن وَحكمه لَهُ بأخوة الْإِيمَان ، وَلَا يكون للْكَافِرِ مَعَ الْمُؤمن بِتِلْكَ الْأُخوة . وَقَالَ تَعَالَى {وَإِن طَائِفَتَانِ من الْمُؤمنِينَ اقْتَتَلُوا فأصلحوا بَينهمَا فَإِن بَغت إِحْدَاهمَا على الْأُخْرَى فَقَاتلُوا الَّتِي تبغي حَتَّى تفيء إِلَى أَمر الله فَإِن فاءت فأصلحوا بَينهمَا بِالْعَدْلِ وأقسطوا إِن الله يحب المقسطين إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ أخوة فأصلحوا بَين أخويكم وَاتَّقوا الله} فَهَذِهِ الْآيَة رَافِعَة للشَّكّ جملَة فِي قَوْله تَعَالَى إِن الطَّائِفَة الباغية على الطَّائِفَة الْأُخْرَى من الْمُؤمنِينَ الْمَأْمُور سَائِر الْمُؤمنِينَ بقتالها حَتَّى تفيء إِلَى أَمر الله- تَعَالَى -أخوة للْمُؤْمِنين المقاتلين ، وَهَاتَانِ الْآيَتَانِ حجَّة قَاطِعَة أَيْضا على الْمُعْتَزلَة أَيْضا المسقطة اسْم الْإِيمَان عَن الْقَاتِل ، وعَلى كل من أسقط عَن صَاحب الْكَبَائِر اسْم الْإِيمَان ، وَلَيْسَ لأحد أَن يَقُول أَنه تَعَالَى إِنَّمَا جعلهم إِخْوَاننَا إِذا تَابُوا ؛ لِأَن نَص الْآيَة أَنهم إِخْوَان فِي حَال الْبَغي وَقبل الفئة إِلَى الْحق [155].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : كَانَ السَّلَفُ مَعَ الِاقْتِتَالِ يُوَالِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا مُوَالَاةَ الدِّينِ، لَا يُعَادُونَ كَمُعَادَاةِ الْكُفَّارِ فَيَقْبَلُ بَعْضُهُمْ شَهَادَةَ بَعْضٍ وَيَأْخُذُ بَعْضُهُمْ الْعِلْمَ عَنْ بَعْضٍ وَيَتَوَارَثُونَ وَيَتَنَاكَحُونَ وَيَتَعَامَلُونَ بِمُعَامَلَةِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ، مَعَ مَا كَانَ بَيْنَهُمْ مِنْ الْقِتَالِ وَالتَّلَاعُنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.[156]

---

[155] الفصل في الملل والأهواء والنحل(2/132)

[156] مجموع الفتاوى(3/285)

ذ

كما أثبتت أخوة الدين بين أولياء الدم والقاتل ،فقال تعالى (***فمن عفى له من أخيه شئ***...)وأثبت لهم الإيمان فى صدر الأية.كما أن قوله تعالى (ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ)ومن المعلوم أن القاتل لو كان كافراً فهو غير مستحق للرحمة .

ويؤيد ما سبق :

قَوْله تَعَالَى {الزَّانِي لَا ينْكح إِلَّا زَانِيَة أَو مُشركَة والزانية لَا ينْكِحهَا إِلَّا زَان أَو مُشْرك وَحرم ذَلِك على الْمُؤمنِينَ}

وَفِي هَذِه الْآيَة أَيْضا نَص جلي على أَن الزَّانِي والزانية ليسَا مُشْرِكين ؛ لِأَن الله- تَعَالَى - فرَّق بَينهمَا فرقاً لَا يحْتَمل الْبَتَّةَ أَن يكون على سَبِيل التَّأْكِيد بل على أَنَّهُمَا صفتان مُخْتَلِفَتَانِ ، وَإِذا لم يكونا مُشْرِكين فهما ضَرُورَة مسلمان . قال تعالى (**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا) (النساء /48)** وهى ليست فى التائب ؛ لأنَّ التوبة تمحو الذنب ولو كان شركاً ،وإنما هي فيمن مات مصرَّاً على فعل الكبيرة ، ولم يتب منها .

ومن الرد عليهم :

1 - **عَنْ أَبِي ذَرٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي فَأَخْبَرَنِي أَوْ قَالَ بَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ قُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ .**[157]

2 - وعن عُبَادَةَ بْن الصَّامِتِ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ وَحَوْلَهُ

---

[157] متفق عليه .

عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ : بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَزْنُوا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ ،وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ،وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ ، فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ .[158]

فجعل السارق والزاني والقاتل تحت المشيئة **..** عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ- رضي الله عنه - أَنَّ رَجُلاً عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: اللَّهُمَّ العَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَلْعَنُوهُ، لاَ تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» [159] فجعل الرسول – صلى الله عليه وسلم –شارب الخمر أخاً للمسلمين ، رغم إصراره على شرب الخمر . ** وعن أنس أن النبي - صلى الله عليه وسلم -قال: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» . [160]

***** وعن جابر- رضي الله عنه -:*** أن رجلاً مرض فجزع، فأخذ مشاقص له، فقطع بها براجمه، فشخبت يداه حتى مات، فرآه الطفيل بن عمرو في منامه، فراه وهيئته حسنة، ورآه مغطيا يديه، فقال له: ما صنع بك ربك؟ فقال: غفر لي بهجرتي إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، فقال: ما لي أراك

---

[158] **متفق عليه**

[159] أخرجه البخاري ، وبوَّب له بقوله : بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ لَعْنِ شَارِبِ الخَمْرِ، وَإِنَّهُ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنَ المِلَّةِ .

[160] رواه الترمذي وأبو داود،وصححه اللباني.

ذ

مغطياً يديك؟
قال: قيل لي: لن نصلح منك ما أفسدت. فقصها الطفيل على رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "***اللهم وليديه فاغفر***"[161]

قال النووي :
في هذا الحديث حجة لقاعدة عظيمة لأهل السنة أن من قتل نفسه أو ارتكب معصية غيرها ومات من غير توبة، فليس بكافر، ولا يقطع له بالنار، بل هو في حكم المشيئة ... وهذا الحديث شرح للأحاديث التي قبله المُوهم ظاهرها تخليد قاتل النفس وغيره من أصحاب الكبائر في النار، والله تعالى أعلم. [162]

***** وعن ابْنُ عُمَرَ- رضي الله عنهما - قَالَ***:
كُنَّا نُوجِبُ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ النَّارَ، حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: 48] ، فَنَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُوجِبَ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ النَّارَ [163]

<u>ثالثاً الإجماع :</u>

قَالَ ابن حزم :
فَفِي إِجْمَاعِ الْأمة كلهَا دون مُخْتَلف من أحد مِنْهُم على أَن صَاحب الْكَبِيرَة مَأْمُور بِالصَّلَاةِ مَعَ الْمُسلمين وبصوم شهر رَمَضَان وَالْحج وبأخذ زَكَاة مَاله وَإِبَاحَة مناكحته وموارثته وَأكل ذَبِيحَته وبتركه يتَزَوَّج الْمَرْأَة الْمسلمَة الفاضلة وبِبتاع الْأمة الْمسلمَة الفاضلة ويطأها ، وَتَحْرِيم دَمه وَمَاله وَأَن لَا يُؤْخَذ مِنْهُ جِزْيَة وَلَا يصغر برهَان صَحِيح على أَنه مُسلم مُؤمن ، وَفِي إِجْمَاع الْأمة كلهَا دون مُخَالف على تَحْرِيم قبُول شَهَادَته وَخَبره برهَان على أَنه فَاسق فصح يَقِينا أَنه

[161] أخرجه مسلم
[162] شرح مسلم (2/132)
[163] أخرجه ابن أبي عاصم وحسنه الألباني .

مُؤمن فَاسق نَاقص الْإِيمَان .ا.هـ [164] .
***** وممَّا يُجاب به على قولهم أن ذهاب بعض الإيمان يلزم منه ذهاب الإيمان كله :**
حديث النبى صلى الله عليه وسلم :(يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَخْرِجُوا مِنْ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ) [165]
وممَّا يؤكد بطلان قولهم :
النصوص المتواترة على عدم خروج مرتكب الكبيرة من مطلق الإيمان ، ولذلك فإنَّ العقوبات الشرعية من القصاص و الحدود تُطبَّق على شارب الخمر والزانى والسارق ، ولو كان يخرج بالكبيرة من الإيمان لطبق عليه حد الردة وقتل ، ولما طبقت عليه تلك الحدود.
3 - قال الأوزاعى : قال: أدركت من أدركت من صدر هذه الأمة، ولا يفرقون بين الإيمان والعمل، ولا يعدون الذنوب كفراً ولا شركاً .[166]
4 - عن أبى الزبير أنَّ جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما- سُئل : هل كنتم تعدون الذنب كفراً ، قال : لا ، قال : وسُئل ما بين العبد وبين الكفر ؟ قال : ترك الصلاة [167] . قَالَ الإِمَامُ الْبغوي :
اتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَخْرُجُ عَنِ الإِيمَانِ بِارْتِكَابِ شَيْءٍ مِنَ الْكَبَائِرِ إِذَا لَمْ يَعْتَقِدْ إِبَاحَتَهَا، وَإِذَا عَمِلَ شَيْئًا مِنْهَا، فَمَاتَ قَبْلَ التَّوْبَةِ، لَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ، كَمَا جَاءَ بِهِ

---

[164] الفصل فى الملل والأهواء والنحل(3/137) وممن نقل الإجماع على عدم كفر فاعل الكبيرة :ابن تيمية وأبو الحسن الأشعرى والبغوي والنووي وابن عبد البر .
[165] متفق عليه
[166] أخرجه حرب الكرمانى فى مسائل أحمد واسحاق بن راهوية (ص/368) وانظر الإيمان عند السلف وحقيقته بالعمل (2/11)
[167] انظر تعظيم قدر الصلاة للمروزى (891) وشرح أصول إعتقاد أهل السنة (5/105)

ذ

الْحَدِيثُ، بَلْ هُوَ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِ، ثُمَّ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ [168]

- فإن قالوا : *الأحاديث التى نصت على كفر فاعل الكبيرة :كقوله صلى الله عليه وسلم اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في الأنساب والنياحة على الميت» . و (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر وحرمة ماله كحرمة دمه)* **فالجواب.**

:

أنَّ الكفر وقد ورد فى نصوص الشرع على عدة معانٍ منها الكفر المخرج من الملة - وكفر دون كفر - كفر النعمة - كفر التبرء .

- وكما أن قيام شعبة من شعب الكفر بالعبد لا يلزم منه ان يصير كافراً الكفر المطلق الناقل من الملة ، حتى يقوم به أصل الكفر بناقض من نواقض الإسلام الاعتقادية أو القولية أو العملية عن الله ورسوله لاغير .[169]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

وروى مسلم : «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت» فقوله: هما بهم كفر . أي هاتان الخصلتان هما كفر قائم بالناس فنفس الخصلتين كفر حيث كانتا من أعمال الكفار، وهما قائمتان بالناس لكن ليس كل من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافراً الكفر المطلق حتى تقوم به حقيقة الكفر ، كما أنه ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمنا حتى يقوم به أصل الإيمان وفرق بين الكفر المعرف باللام كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «ليس بين العبد وبين الكفر - أو الشرك - إلا ترك الصلاة» وبين كفر منكر في الإثبات.[170]

قال ابن القيم

---

[168] شرح السنة (1/103)

[169] وانظر درء الفتنة عن أهل السنة (ص/61)

[170] اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم(1/237)

ذ

: وقد أعلن النبي -صلى الله عليه وسلم- بما قلناه في قوله في الحديث الصحيح: "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر". ففرق بين قتاله وسبابه وجعل أحدهما فسوقا لا يكفر به والآخر كفر, ومعلوم أنه إنما أراد الكفر العلمي لا الاعتقادي, وهذا الكفر لا يخرجه من الدائرة الإسلامية والملة بالكلية كما لا يخرج الزاني والسارق والشارب من الملة وإن زال عنه اسم الإيمان, وهذا التفصيل هو قول الصحابة الذين هم أعلم الأمة بكتاب الله وبالإسلام والكفر ولوازمهما فلا تتلقى هذه المسائل إلا عنهم .

وقال – رحمه الله - :

فمن صدر منه خلة من خلال الكفر فلا يستحق اسم كافر على الإطلاق, وكذا يقال لمن ارتكب محرما إنه فعل فسوقا وإنه فسق بذلك المحرم ولا يلزمه اسم فاسق إلا بغلبة ذلك عليه.

وهكذا الزاني والسارق والشارب والمنتهب لا يسمى مؤمنا وإن كان معه إيمان كما أنه لا يسمى كافرا وإن كان ما أتى به من خصال الكفر وشعبه إذ المعاصي كلها من شعب الكفر ، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان [171].

وقال أبو عبيد بن سلام: وأما الآثار المرويات بذكر الكفر والشرك ووجوبهما بالمعاصي، فإن معناها عندنا ليست تثبت علي أهلها كفراً ولا شركاً يزيلان الإيمان عن صاحبه، إنما وجوهها أنها من الأخلاق والسنن التي عليها الكفار والمشركون. ا.هـ[172]

*** ***كما أنه يقال*** :

*** أن الكفر في النصوص التي استدلوا بها قد جاء نكرة ،

[171] الصلاة وحكم تاركها(1/62)

[172] الإيمان لأبي عبيد(ص/34)

ذ

والكفر إذا ورد غير معرف فهو محمول على على الكفرالأصغر. ***قال ابن تيمية*** :
وفَرْقٌ بين الكفر المعرف باللام كما في قوله صلى الله عليه وسلم «ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة» وبين كُفر منكر في الإثبات . ا.هـ [173]
***** تنبيه :**
ولم يرد عن السلف خلافٌ في أن النصوص التي ورد فيها إطلاق الكفر علي ما سوي الأربعة أنها كفر دون كفر، مثل: (من أتي المرأة في دبرها)، و(قتال المسلم كفر)، وإنما كانوا يمتنعون عن إطلاق كفر دون كفر في تأويل مثل هذه الأحاديث ترهيباً وتخويفاً. قال أبوعبيد :وأما الآثار المرويات بذكر الكفر والشرك ووجوبهما بالمعاصي فإن معناها عندنا ليست تثبت على أهلها كفراً ولا شركاً يزيلان الإيمان عن صاحبه، إنما وجوهها: أنها من الأخلاق والسنن التي عليها الكفار والمشركون .[174]

*** ***قالوا : قد نصت الأثار على نفي الإيمان عن فاعل الكبيرة ،كما في قوله صلى الله عليه وسلم : لا إيمان لمن لا أمانة له " وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، !!!!***
فجوابه : أن هذا النفي الوارد في هذا الحديث وما في معناه إنما هو محمول على نفي كمال الإيمان الواجب ، وليس نفياً لأصل الإيمان ،ونظير ذلك ما ورد عن أبي هريرة -رضي الله عنه - قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: لا يؤمن العبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في

[173] اقتضاء الصراط المستقيم (ص/237)
[174] الإيمان لأبي عبيد (ص/34)

ذ

المزاحة والمراء ، وإن كان صادقاً [175] .

*** قال أبو عبيد في معنى حديث: " لا إيمان لمن لا أمانة له" " ومن غشنا فليس منا" قال : لا نرى شيئاً منها يكون معناه التبرؤ من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا من ملته ، إنما مذهبه عندنا أنه ليس من المطيعين لنا ولا من المقتدين بنا ولا من الحافظين على شرائعنا وهذه النعوت وما أشبهها"، وقال أحمد : " هذا على التأكيد والتشديد ، ولا أكفر أحداً إلا بترك الصلاة"[176]**

فإن قيل :هذا تحريف للنص عن ظاهره !! **قلنا**:بل هو تأويل صحيح قد دلت عليه النصوص التي ذكرناه قريباً ، إضافة إلى إجماع العلماء على توريث الزانى والسارق ،وإجماعهم على أن السارق والزاني قد نقص إيمانهم ،قد نقل ذلك النووي وابن عبد البر.

*** والله إنه ليخشى على هؤلاء – أي المعتزلة والخوارج – من قول النبي –صلى الله عليه وسلم - **(أَنَّ رَجُلاً قَالَ وَاللَّهِ لاَ يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلاَنٍ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ مَنْ ذَا الَّذِى يَتَأَلَّى عَلَىَّ أَنْ لاَ أَغْفِرَ لِفُلاَنٍ فَإِنِّى قَدْ غَفَرْتُ لِفُلاَنٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ)[177]**

ومفاد الأمر :

أن كل طائفة عرَّفت الإيمان بشئ ، فالإيمان عندهم تحقيق ذلك الشئ ، ومازاد عليه من إعتقادات وأقوال وأعمال واجبة فهى واجبة ، يترتب على فعلها الثواب ومن تركها العقاب ، ومثال ذلك :

أ - **الأشاعرة** :جعلوا الإيمان هو التصديق ، فمن أتى به فهو مؤمن كامل الإيمان ، وما زاد على التصديق من قول

---

[175] رواه أحمد والطبراني وصححه الألباني .

[176] وانظر الإيمان لابن أبي عبيد (ص/21)والإيمان لأبي يعلى (ص/402)

[177] أخرجه مسلم (2621) وانظر حقيقة الإيمان وبدع الإرجاء(ص/16)

ذ

اللسان وعمل الجوارح شرط فى كمال الإيمان الواجب .
ب - **مرجئة الفقهاء** : جعلوا الإيمان هو اعتقاد القلب ونطق اللسان ، فمن صدَّق بقلبه ونطق بلسانه فهو مؤمن كامل الإيمان ، وأما أعمال الجوارح فشرط فى كمال الإيمان الواجب ، يترتب على فعلها الثواب وعلى تركها العقاب .
جـ - **أهل السنة والجماعة** :
جعلوا الإيمان اعتقاداً وقولاً وعملاً ، فلا يتحقق الإيمان عندهم إلا بالاعتقاد والقول والعمل ، فمن اعتقد بقلبه ونطق بالشهادتين حكموا بإسلامه ، فإن مات قبل تمكنه من العمل مات مؤمناً ، وإن ترك العمل مع عدم المانع ومع وجود القدرة لم يصح إيمانه ؛ لأن العمل الظاهر يدل على صحة ما ادعاه ، فإن لم يعمل دل هذا على كذبه فيما ادعاه من التصديق والاعتقاد .
وعليه فكل طائفة جعلت الإيمان فى شئ ما ، كان الكفر فى ضده فمن جعل الإيمان محله القلب كان الكفر عندهم محصوراً فى القلب ؛ وكذا يقال فى القلب مع اللسان .
**** وأما أهل السنة والحديث :*** فالكفرعندهم يكون بالقلب واللسان والجوارح ،وعليه فمن عرَّف الإيمان بما قاله أهل السنة ثم حصر الكفر فى الجحود أو التكذيب فقد تناقض وخالف أهل السنة [178] .

[178] ومن ذلك ما ذكره صاحب الطحاوية بقوله "وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ" فحصر الكفر في كفر الجحود فقط ، نعم هو قد نص على ذلك رداً على الخوارج والمعتزلة الذين يكفرون بكل كبيرة ، ولو لم يكن فاعلها مستحلاً لها ، ولكن حصر الكفر في كفر الجحود فقط مما يخالف منهج أهل السنة والجماعة ، كما سيأتي بيانه ،وانظر مجموع الفتاوى (13/56) و براءة أهل الحديث من بدعة المرجئة (ص/361) والتعليقات المختصرة على الطحاوية للفوزن(ص/144)

****** أقسام الأفعال التي يقع بها الكفر*** :

1- ***كفر الأقوال والأفعال*** : وقد ورد أكثر من ثلاثمائة نص يدل أن الكفر قد يحصل بالقول أو بالفعل ،قال تعالى **(مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (النحل / 106)**

فاستثنى من الكفر حال الإكراه ، والإكراه يكون على العمل أو القول ، فدل ذلك أن الكفر يقع بهما . ثم قال تعالى (ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) **(النحل /107)** فدل ذلك أن كفرهم ليس عن اعتقاد أو جهل أو غيرهما من الأمور القلبية ، بل حكم بكفرهم بفعلهم لأمر مُكِّفر ، وهو تقديم أمور الدنيا على أمور الآخرة ، وهذا إنما يحصل بالأعمال الظاهرة .

ومن ذلك أيضاً : قوله تعالى (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) ***(التوبة65/66)***

فجعلهم الشرع كفاراً بذات كلامهم ، مع أنهم قالوا تكلمنا بذلك مع عدم اعتقادنا له ، بل كنا نلعب.

2. **كفر التكذيب**: قال تعالى(**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(الأعراف/147)**

وقال تعالى (**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**

ذ

اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (72) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) **(المائدة 72/73)**

فحكَم عليهم بالكفر لمجرد قولهم ولم يقل " الذين اعتقدوه " مثلاً .

3- الكفر بالاستكبار:

ومن ذلك قوله تعالى (وإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) **(البقرة /34)** فكفرإبليس لامتناعه عن السجود لآدم -عليه السلام - .

4- *الكفر بالإعراض عن الدين* :

قال تعالى **(وما خلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ)** **(الأحقاف /2)** **وقال تعالى (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ)** **(السجدة/22)** **وقال تعالى (وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ)**

(النور/47) كما نص على ذلك الإمام محمد بن عبد الوهاب في ذكره لنواقض الإسلام ،فقال : الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ} **.**

5- *وقد يكون الكفر بالشك* :

ذ

قال تعالى (وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا)**(الكهف /35)**
وقد حكى جماعة أن الكفر يحصل ببعض الأعمال ، كإسحاق بن راهوية وابن حزم وابن العربى وابن تيمية [179] .
وأما القول بأنه لاكفر إلا باعتقاد و أنه لا يحكم بالكفر على أحد إلا أن يكون معتقداً الكفر في الباطن و جعل القول أو الفعل الظاهر علامة على ما في الباطن من تكذيب أو كبر أو حسد أو استحلال أو غير ذلك فهو قول المرجئة والأشاعرة .[180] **.**
****قال تعالى" ***من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ، ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة*** " **النحل (106/107)**
قال شيخ الإسلام :
ومعلوم أنه لم يرد بالكفر هنا اعتقاد القلب فقط ؛ لأن ذلك

---

[179] انظر الصارم المسلول (ص/514) وحقيقة الإيمان وبدع الإرجاء (ص/21) والتوسط والاقتصاد فى أن الكفر يكون بالقول أو الفعل أو الإعتقاد (ص / 33)

[180] وقد وقع بعض المتأخرين من أهل السنة والجماعة فيه حتى إنه قال بعدم كفر من دعا غير الله أو ذبح لغير الله حتى يكون معتقداً أن أولئك الأولياء يضرون وينفعون و أما بمجرد الفعل فلا . وقال بعضهم هذه الأفعال الشركية وإن كان فاعلها لا يفعلها إلا وهو معتقدٌ أن الأولياء يضرون وينفعون إلا أن بعضهم يفعلها بدون هذا الاعتقاد فالتكفير حينئذ بمجرد الفعل لا يجوز. وقد قعد بعضهم لهذا الأمر عند تعريفه للعبادة فقال " إن أساس العبادة ورأسها الاعتقاد ". وقال في وصف المشركين الأولين " إن عبادتهم هي اعتقادهم فيهم أنهم يضرون وينفعون " . وقال آخر " وقد تقرر أن شرك المشركين الذين بعث الله إليهم خاتم رسله لم يكن إلا باعتقادهم أن الأنداد التي اتخذوها تنفعهم وتضرهم وتقربهم إلى الله وتشفع لهم عنده " وقال في حق من أتي كاهناً فصدقه " العلة الموجبة للحكم بالكفر ليست إلا اعتقاد أنه مشارك لله عز وجل في علم الغيب "

لا يكره الرجل عليه وهو قد استثنى من أكره ، ولم يرد من قال واعتقد لأنه استثنى المكره وهو لا يكره على العقد والقول وإنما يكره على القول فقط ، فعلم أنه أراد من تكلم بكلمة الكفر فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم وأنه كافر بذلك ، إلا من أُكره وهو مطمئن بالإيمان ، ولكن من شرح بالكفر صدراً من المكرهين فإنه كافر أيضاً ، فصار من تكلم بالكفر كافراً إلا من أُكره فقال بلسانه كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان ا .هـ [181].

*** فهذه الآية من أصرح الأدلة على أن الكفر يكون بالقول والفعل كما يكون بالاعتقاد ، ففيها دليل على أن من تكلم بكلمة الكفر من غير إكراه فإنه كافر ظاهراً وباطناً ، وأنه ممن شرح بالكفر صدراً دون النظر إلى اعتقاده ، وبيان ذلك أن الله لم يستثن في الآية إلا المكره ، والإكراه لا يكون إلا في القول أو الفعل ، وأما الاعتقاد فليس فيه إكراه ، فدل ذلك أن ردة المسلم - والعياذ بالله -تكون بالقول أو الفعل ولو قال " لم اعتقد " ،ولو كان ذاهلاً عن اعتقاده وإنما يستثنى من ذلك المكره .

** قال تعالى ***"وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ "*(التوبة/65)****

فهي دليل أيضاً على أن القول يكون كفراً في نفس الأمر، وأن قائله يكون كافراً ظاهراً وباطناً ولو كان ذاهلاً عن اعتقاده ، مادام قاله عامداً من غير إكراه ، كأن يقوله من باب الخوض واللعب والمزاح كما جاء في الآية .

---

[181] الصارم المسلول (ص/524)

ذ

قال شيخ الإسلام :
" فقد أخبر أنهم كفروا بعد إيمانهم مع قولهم أنا تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له بل كنا نخوض ونلعب ، وبيَّن أن الاستهزاء بآيات الله كفر ، ولا يكون هذا إلا ممن شرح صدره بهذا الكلام ، ولو كان الإيمان في قلبه منعه أن يتكلم بهذا الكلام. ا.هـ [182]

- **وقال رحمه الله :**
وقال تعالى { لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم } فبين أنهم كفار بالقول مع أنهم لم يعتقدوا صحته ، وهذا باب واسع والفقه فيه ما تقدم من أن التصديق بالقلب يمنع إرادة التكلم وإرادة فعل فيه استهانة واستخفاف كما أنه يوجب المحبة والتعظيم واقتضاؤه وجود هذا ، وعدم هذا أمر جرت به سنة الله في مخلوقاته كاقتضاء إدراك الموافق للذة و إدراك المخالف للألم ، فإذا عدم المعلول كان مستلزماً لعدم العلة ، وإذا وجد الضد كان مستلزماً لعدم الضد الآخر . فالكلام والفعل المتضمن للاستخفاف والاستهانة مستلزم لعدم التصديق النافع ولعدم الانقياد والاستسلام فلذلك كان كفراً .
وقال رحمه الله :وفي الجملة فمن قال أو فعل ما هو كفر كفر بذلك ، وإن لم يقصد أن يكون كافراً ، إذ لا يقصد الكفر أحد إلا ما شاء الله "
ا.هـ [183].

---
[182] مجموع الفتاوى (7/220)
[183] الصارم المسلول (ص/524) وبهذا يظهر لك خطأ الشوكاني رحمه الله عندما قال في السيل الجرار (4/578) " فلا بد من شرح الصدر بالكفر وطمأنينة القلب به وسكون النفس إليه فلا اعتبار بما يقع من طوارق عقائد الشر لا سيما مع الجهل بمخالفتها لطريقة الإسلام . ولا اعتبار بصدور فعل

ذ

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب : ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله: **أولاهما** قوله تعالى: {لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} [التوبة:66] فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب والمزح، تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر ويعمل به خوفاً من نقص مالٍ، أو جاهٍ، أو مداراة لأحد، أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها.

- ***الثانية:*** قوله تعالى: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ} **[النحل:106-107]**، فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان، وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه، سواء فعله خوفاً أو مداراة، أو مشحةً بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله، أو فعله على وجه المزح أو لغير ذك من الأغراض إلا المكره.

فالآية تدل على هذا من جهتين: ***الأولى***: قوله تعالى: (إِلا مَنْ أُكْرِهَ) ، فلم يستثن الله تعالى إلا المكره، ومعلوم أن الإنسان لا يُكره إلا على الكلام أو الفعل، وأما عقيدة القلب فلا يُكره أحد عليها.

والثانية: قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ} [النحل:107] فصرح أن هذا الكفر والعذاب

كفري لم يرد به فاعله الخروج عن الإسلام إلى ملة الكفر ، ولا اعتبار بلفظ تلفظ به المسلم يدل على الكفر وهو لا يعتقد معناه.

لم يكن بسبب الاعتقاد والجهل والبغض للدين أو محبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا فآثره على الدين، والله سبحانه وتعالى أعلم وأعز وأكرم .[184]

****** فإن قيل :قد قال صاحب الطحاوية (وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ) أليس فيها حجة للمرجئة فيما ذهبوا إليه ؟***

فالجواب :

قد قال صاحب الكتاب هذه المقالة رداً على الخوارج الوعيدية الذين يُكفرون بالذنوب الكبائر ، وأما الأعمال والأقوال المكفرات فلم يتعرض لها فى هذه العبارة . فمن ارتكب ذنباً مكفراً لم يكن من المسلمين ، ومن ثم لا يدخل فى إطلاق هذه العبارة ،ومثاله من ترك الصلاة بالكلية .[185]

قال شيخ الإسلام : نَحْنُ إذَا قُلْنَا: أَهْلُ السُّنَّةِ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ بِالذَّنْبِ فَإِنَّمَا نُرِيدُ بِهِ الْمَعَاصِيَ كَالزِّنَا وَالشُّرْبِ ، وَأَمَّا هَذِهِ الْمَبَانِي فَفِي تَكْفِيرِ تَارِكِهَا نِزَاعٌ مَشْهُورٌ[186] ا.هـ

قال علوي السقاف: من يقول أن الكفر لا يكون إلا بالاعتقاد أوالجحود أوالاستحلال، ويستشهد بقول الطحاوي -رحمه الله - في عقيدته: ((ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، مالم يستحله)(

والصواب أن يقال :

الكفر يكون بالقول أو الفعل أو الاعتقاد، ولا نكفر أحداً

---

[184] وانظر كشف الشبهات(ص/56)

[185] وانظر التعليقات المختصرة على العقيدة الطحاوية للفوزان(ص/139)

[186] مجموع الفتاوى(7/302)

من أهل القبلة بذنب –دون الشرك أو الكفر-، مالم يستحله .[187]

******* مسألة الاستثناء فى الإيمان *******

ومعنى الاستثناء في الإيمان أن يقول ***" أنا مؤمن إن شاء الله ""***.

الأقوال في هذه المسألة :

1 ***) القول الأول*** : حرمة الاستثناء فى الإيمان : قال به الجهمية والمرجئة ، حيث قالوا لا يجوز الاستثناء فى الإيمان ؛ لأن الإيمان عندهم واحد يعلمه المرء من نفسه، فإن استثنى كان ذلك دليلاً على شكه ، فالأصل فى الإيمان الجزم؛ لقوله تعالى (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**)**(الحجرات/15)** وممن قال بهذا القول الحنفية " مرجئة الفقهاء " .

فأصحاب هذا القول يعدون الاستثناء فى الإيمان شكاً ، ويطلقون على من استثنى فى إيمانه اسم "الشكاكة" [188] .

---

[187] وعليه فإن القول بأنه لا كفر إلا كفر الجحود أوالاستحلال أو كفر التكذيب فهى أقوال باطلة مردودة لا تستقيم إلا على مذهب المرجئة والجهمية ،وكذا فمن البطلان أن يُقسَّم الكفر إلى : اعتقادي ، مخرج من الملة ، وعملى لا يُخرج من الملة ، فهذا تقسيم مخالف لمنهج أهل السنة ،بل هم من أقوال المرجئة ؛ لأنهم حصروالإيمان في التصديق والاعتقاد فقط ،فأخرجوا عمل الجوارح من الإيمان ،كما سبق بيانه .

[188] وذهب بعضهم الى تكفير المستثنى بحجة أنه شاك فى إيمانه، ولهذا منع بعض الحنفية من تزويج القائل بالاستثناء في الإيمان من المرأة الحنفية ، ثم جوزوا نكاح الحنفى من الشافعية – الذي يقول بالاستثناء - قياساً على نكاح أهل الكتاب، ولكن المحققين منهم على خلاف ذلك كله.

ذ

- القول الثانى : وهو وجوب الاستثناء في الإيمان ،و قال به بعض أهل السنة والكلابية:

وذلك باعتبار الحال والمآل :

1- **فأما المآل** : فلأنَّ المرء لا يعلم خاتمته ، وعلى أى شيء يموت ، لذا فلقد كان من دعاء يوسف عليه السلام (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ)**(يوسف/101)** وعليه فمن لم يستثن في الإيمان فقد جزم لنفسه بالجنة .

2- وأما الحال : فلأن الإيمان فعل المأمورات وترك المحظورات، وهذا لا يجزم به أحد؛ للنقص الذى يعترى المرء . 3- كما أن الجزم بالإيمان فيه تزكية للنفس ، وقد قال الله تعالى (فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى)**(النجم/32)**

<u> الراجح في ذلك التفصيل:</u>***

(1) إن كان الإستثناء عن شك فهو محرم ، بل هو كفر ؛ لقوله تعالى (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**)**(الحجرات/15)**[189].

(2) يشرع الاستثناء إن كان صادقاً في إيمانه ويخشى تزكية النفس ، أو باعتبارالموافاة فهو حق .قال البغوي : وَيَجُوزُ أَنْ يَقُولَ: أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، لَا عَلَى مَعْنَى الشَّكِّ فِي إِيمَانِهِ وَاعْتِقَادِهِ مِنْ حَيْثُ عِلْمِهِ بِنَفْسِهِ، فَإِنَّهُ فِيهِ عَلَى يَقِينٍ

[189] وهذه العلة هي التي من أجلها منع مرجئة الفقهاء من الاستثناء .

وَبَصِيرَةٍ، بَلْ عَلَى مَعْنَى الْخَوْفِ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ، وَخَفَاءِ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ عَلَيْهِ، فَإِنَّ أَمْرَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ يَبْتَنِي عَلَى مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ عَبْدِهِ، وَيَخْتِمُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، لَا عَلَى مَا يَعْلَمُهُ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ .ا.هـ[190]قَالَ اسحاق بن منصور :
وَسَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَسُئِلَ عَنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ» ، الِاسْتِثْنَاءُ هَاهُنَا عَلَى أَيِّ شَيْءٍ يَقَعُ؟ قَالَ: «عَلَى الْبِقَاعِ، لَا يَدْرِي أَيُدْفَنُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي عَلَيْهِمْ أَوْ غَيْرِهِ»[191]
(3) أن يقصد بالاستثناء الإيمان المطلق ؛ لأن عدم الاستثناء يتضمن أن العبد فعل جميع ما أمر به، وفى ذلك تزكية للنفس، ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم :**وَاللَّهِ إِنِّى لأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِى .**[192] **قال شيخ الإسلام :** فَمَنْ قَالَ : أَنَا مُؤْمِنٌ إنْ شَاءَ اللَّهُ وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّ الْإِيمَانَ فِعْلُ جَمِيعِ الْوَاجِبَاتِ وَيَخَافُ أَنْ لَا يَكُونَ قَائِمًا بِهَا فَقَدْ أَحْسَنَ ، وَلِهَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ يَخَافُونَ النِّفَاقَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ[193] .
قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: مَنْ كَرِهَ أَنْ يَقُولَ: أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَهُوَ عِنْدَنَا مُرْجِئٌ . وَقَال – رحمه الله- : خَالَفَنَا الْمُرْجِئَةُ فِي ثَلاثٍ: نَحْنُ نَقُولُ: الإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَهُمْ يَقُولُونَ: قَوْلٌ بِلا عَمَلٍ، وَنَحْنُ نَقُولُ: يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَهُمْ يَقُولُونَ: لَا يَزِيدُ وَلا يَنْقُصُ، وَنَحْنُ نَقُولُ: نَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِالإِقْرَارِ، وَهُمْ يَقُولُونَ: نَحْنُ مُؤْمِنُونَ عِنْدَ اللَّهِ.[194]
****** قال الإمام أحمد*** :اذْهَبْ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي

---

[190] **شرح السنة(1/41)**
[191] انظر السنة للخلال(1065)
[192] رواه مسلم .
[193] مجموع الفتاوى (7/681)
[194] فالمرجيء لا يستثني في الإيمان لأمرين : الأول أنه حصر الإيمان في التصديق ، وهذا عنده لا يقبل الزيادة ولا النقصان ،وعليه فإن الاستثناء فيه لا يكون إلا شكاً ، والثاني :لأنهم أخرجوا الأعمال من الإيمان .

ذ

الِاسْتِثْنَاءِ فِي الْإِيمَانِ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ، وَالْعَمَلُ الْفِعْلُ، فَقَدْ جِئْنَا بِالْقَوْلِ، وَنَخْشَى أَنْ نَكُونَ قَدْ فَرَّطْنَا فِي الْعَمَلِ، فَيُعْجِبُنِي أَنْ نَسْتَثْنِيَ فِي الْإِيمَانِ، نَقُولُ: أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .[195]

وقد ورد من جملة السلف الإستثناء فى الإيمان كابن مسعود وغيره. [196]

(4) يجب ترك الاستثناء إن كان وارداً على مطلق الإيمان، الذى هو أصله ، فهو يجزم قاصداً التصديق بما يعتقده ، كما حكى الله عن المؤمنين (**رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**)**(آل عمران/53)** (**إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ)(المؤمنون/109)**

ومثل هذا هو ما أمرنا به ،كما في قوله تعالى(قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (البقرة /136) *** عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ: إِنِّي مُؤْمِنٌ، فقَالَ عبد الله : " قُلْ: إِنِّي فِي الْجَنَّةِ !!! وَلَكِنَّا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ "[197]**

*1 - **أدلة اشتراط العمل لصحة الإيمان:***

استفاضت أقوال أهل السنة في اشتراط العمل ، وكونه ركناً لا يصح الإيمان إلا به وكانوا يعبرون عن ذلك بعبارات

---

[195] السنة للخلال (1065)

[196] انظر حقيقة الإيمان وبدع الإرجاء(ص /43)

[197] الإيمان لابن أبي شيبة (ص/265)وسنده صحيح .

مختلفة ، فمنهم من يقول :لا قبل قول إلا بعمل ، ومنهم من يصرح بكفر تارك العمل ، ومنهم من يصف من لم يكفر تارك الملِ بالإرجاء . وإليك جملة من الأدلة على ذلك :

1) قال تعالى (وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ( )النور/47) * ***قال شيخ الإسلام ابن تيمية*** : فَنَفَى الْإِيمَانَ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ الْعَمَلِ وَإِنْ كَانَ قَدْ أَتَى بِالْقَوْلِ و" التَّوَلِّيَ " لَيْسَ هُوَ التَّكْذِيبَ بَلْ هُوَ التَّوَلِّي عَنْ الطَّاعَةِ ،كما في قوله { فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى }

فَفِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ مِنْ نَفْيِ الْإِيمَانِ عَمَّنْ لَمْ يَأْتِ بِالْعَمَلِ مَوَاضِعُ كَثِيرَةٌ كَمَا نَفَى فِيهَا الْإِيمَانَ عَنْ الْمُنَافِقِ . وَأَخْبَرَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إذَا دُعُوا إلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ سَمِعُوا وَأَطَاعُوا ؛ فَبَيَّنَ أَنَّ هَذَا مِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ [198]

2) قال تعالى (يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ)(الأنعام /158)

فهذه الآية تدل على كفر من زعم أنه مؤمن لإتيانه بتصديق القلب واللسان دون كسب الجوارح ؛ لأنها نص في عدم نفع الإيمان لكل نفس آمنت ولم تصدق إيمانها بالعمل قبل إتيان بعض الآيات ، وأنه لن ينتفع عندئذ إلا الذي جمع بين الإيمان مع كسب العمل الذي هو من حقيقته [199] .

ـ ***قــال أبو جعفـر الطبري*** :"وأما قوله (أو كسبت في إيمانها خيراً) فإنه يعني : أو عملت في تصديقها بالله خيراً

---

[198] مجموع الفتاوى(7/142)

[199] انظر أقوال ذوي العرفان(1/5)

من عملٍ صالحٍ تصدقُ قِيْلَه وتحققه ، من قبل طلوع الشمس من مغربها ... ولا ينفع من كان بالله وبرسله مصدقاً ولفرائض الله مضيعاً ، غير مكتسبٍ بجوارحه لله طاعة ا.هـ [200]

**وقال الشوكاني* :"قولـــه (أو كسبت في إيمانهـا خيراً) معطـوف علـى (آمَنَتْ)، والمعنى : أنه لا ينفع نفساً إيمانها عند حضور الآيات متصفةً بأنها لم تكن آمنت من قبل ، أو آمنت من قبل ولكن لم تكسب في إيمانها خيراً. فحصل من هذا أنه لا ينفع إلا الجمع بين الإيمان من قبل مجيء بعض الآيات مع كسب الخير في الإيمان ، فمن آمن من قبل فقط ولم يكسب خيراً في إيمانه ، أو كسب خيراً ولم يؤمن فإن ذلك غير نافعه ا.هـ [201]

3) ***قال تعالي(إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)(فاطر/10)***

قال ابن عباس –رضي الله عنهما -: الكلام الطيب: ذكر الله، والعمل الصالح: أداء فرائضه، فمن ذكر الله سبحانه في أداء فرائضه حمل عليه ذكر الله فصعد به إلى الله، ومن ذكر الله، ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله فكان أولى به ا .هـ [202]

قال الآجري:

فأخبر تعالى بأن الكلم الطيب حقيقة أن يرفع إلى الله تعالى بالعمل ، إن لم يكن عمل بطل الكلام من قائله ، ورد

---

[200] جامع البيان في تأويل القرآن(12/266)

[201] فتح القدير(2/207) و أقوال ذوي العرفان (1/7)

[202] جامع البيان في تأويل القرآن(20/445)

عليه ، ولا كلام طيب أجل من التوحيد ولا عمل من أعمال الصالحات أجل من أداء الفرائض.ا.هـ [203] .

من الأحاديث النبوية :

قال الرسول – صلى الله عليه وسلم : مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنْ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ قَالَ أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ ثُمَّ قَرَأَ{ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى }[204]

وجه الدلالة: ما فهمه الصحابة- رضي الله عنهم - من الكتاب و السنة من أنَّ الجنة لا تنال إلا بالعمل ،وقد أقرهم النبي- صلي الله عليه وسلم- علي هذا الفهم ،ولذلك نهاهم عن ترك العمل احتجاجاً بالقدر [205] .

---

[203] الشريعة للآجري (1/279) وأقوال ذوي العرفان(ص/10)

[204] متفق عليه

[205] **انظر أقوال ذوي العرفان(ص/11)**

فائدة : ولا ينافي هذا مارواه الشيخان من حديث أَبي هريرة قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم -يقول :"لن يدخل أحداً عملُه الجنة". قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال :"لا ، ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل و رحمة ، فسددوا وقاربوا ". فلا يعني هذا أن الجنــة تنــال بغـير عمـل ، بـل لا بد من العمل لدخولها لقوله صلى الله عليه وسلم:"فسددوا وقاربوا"، ولقوله تعالى)ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون([النحل: 32] ، وقوله تعالى (وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملــون) [الزخرف:72] ، وإنما النفي في الحديث أن يكون دخولها على سبيل المعاوضة دون رحمة الله للعبد بهدايته

ذ

2 و عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ , وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنهما - قَالَا: لَا يَنْفَعُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ , وَلَا عَمَلٌ إِلَّا بِقَوْلٍ , وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ , وَلَا نِيَّةٌ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ [206] .

******أقوال الأئمة في ذلك :***

وتوفيقه له ثم قبول هذا العمل ومغفرته لسيئاته :
ـ قال النووي رحمه الله (شرح مسلم:17/159) في الجمع:"أَنَّ دخول الجنَّـة بسبب الأعمال , ثمّ التوفِيق لِلأعمال والهداية لِلإخلاص فيها , وقبولها برحمة اللَّه تعالى وفضله , فيصح أنّه لم يدخل بمجرد العمل . وهو مراد الأحاديث , ويَصحّ أَنَّه دخل بالأعمال أي بسببِها , وهي من الرّحمة".
ـ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :"فلن يدخل أحد الجنة بعمله ، وما من أحد إلا وله ذنوب يحتاج فيها إلى مغفرة الله لها)ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة(.
وقوله صلى الله عليه وسلم [لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله] لا يناقض قوله تعالى (جزاء بما كانوا يعملون) ؛ فإن المنفي نفي بباء المقابلة والمعاوضة ، كما يقال : بعت هذا بهذا ، وما أثبت أثبت بباء السبب فالعمل لا يقابل الجزاء ، وإن كان سبباً للجزاء". (الفتاوى:1/217)

وقال ابن القيم :"الباء المقتضية للدخول غير الباء التي نفى معها الدخول : فالمقتضية هي باء السببية الدالة على أن الأعمال سبب للدخول مقتضية له كاقتضاء سائر الأسباب لمسبباتها ، والباء التي نفى بها الدخول هــي بــاء المعاوضة والمقابلة التي في نحو قولهم : اشتريت هذا بهذا. فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن دخول الجنة ليس في مقابلة عمــل أحد ، وأنــه لولا تغمد الله سبحانه لعبده برحمته لما أدخله الجنة فليس عمل العبد وإن تناهى موجباً بمجرده لدخول الجنة ولا عوضاً لها ؛ فإن أعماله وإن وقعت منه على الوجه الذي يحبه الله ويرضاه فهي لا تقاوم نعمة الله التي أنعم بها عليه في دار الدنيا ولا تعادلها". وقد جاء نص صريح بنحو حديث عليّ رضي الله عنه فيه اشتراط العمل لدخول الجنة ، وذلك فيما ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : يا نبي الله! أريت ما نَعملُ ، ألأمرٍ فُرغَ منه ، أم لأمرٍ نستقبله استقبالاً ؟ قال :"بل ، لأمرٍ فُرِغَ

قال الزُّهْرِيِّ : كُنَّا نَقُولُ الْإِسْلَامُ بِالْإِقْرَارِ وَالْإِيمَانُ بِالْعَمَلِ وَالْإِيمَانُ : قَوْلٌ وَعَمَلٌ قَرِينَانِ لَا يَنْفَعُ أَحَدُهُمَا إلَّا بِالْآخَرِ .[207]

قال سفيان بن عيينه

: المرجئة أوجبوا الجنة لمن شهد أن لا إله إلا الله مصرا بقلبه على ترك الفرائض ، وسموا ترك الفرائض ذنباً بمنزلة ركوب المحارم وليس بسواء ؛ لأن ركوب المحارم من غير استحلال معصية ، وترك الفرائض متعمداً من غير جهل ولا عذر هو كفر [208] .

قال شيخ الإسلام : وَمِنْ الْمُمْتَنِعِ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا إيمَانًا ثَابِتًا فِي قَلْبِهِ بِأَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ

منهُ". فقال عمر : ففيم العمل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" كلا لايُنالُ إلاّ بالعَملِ". فقال عمرُ : إنا إذن نجتهد. (مفتاح دار السعادة:1/8)

[206] انظر الإبانة لابن بطة(2/803)وثبت مثله عن ابن مسعود وسعيد ابن جبير والحسن البصري،و انظر الإبانة لابن بطة(2/803)وشرح اعتقاد أهل السنة للالكائي(1/37)

[207] مجموع الفتاوي(7/295)

وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ مَنْ قَالَ مِنْ السَّلَفِ : الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ أَرَادَ قَوْلَ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَعَمَلَ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ ؛ وَمَنْ أَرَادَ الِاعْتِقَادَ رَأَى أَنَّ لَفْظَ الْقَوْلِ لَا يُفْهَمُ مِنْهُ إلَّا الْقَوْلُ الظَّاهِرُ أَوْ خَافَ ذَلِكَ فَزَادَ الِاعْتِقَادُ بِالْقَلْبِ وَمَنْ قَالَ : قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ قَالَ : الْقَوْلُ يَتَنَاوَلُ الِاعْتِقَادَ وَقَوْلَ اللِّسَانِ وَأَمَّا الْعَمَلُ فَقَدْ لَا يُفْهَمُ مِنْهُ النِّيَّةُ فَزَادَ ذَلِكَ وَمَنْ زَادَ اتِّبَاعَ السُّنَّةِ فَلِأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ لَا يَكُونُ مَحْبُوبًا لِلَّهِ إلَّا بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَأُولَئِكَ لَمْ يُرِيدُوا كُلَّ قَوْلٍ وَعَمَلٍ إنَّمَا أَرَادُوا مَا كَانَ مَشْرُوعًا مِنْ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَلَكِنْ كَانَ مَقْصُودُهُمْ الرَّدَّ عَلَى " الْمُرْجِئَةِ " الَّذِينَ جَعَلُوهُ قَوْلًا فَقَطْ فَقَالُوا : بَلْ هُوَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَالَّذِينَ جَعَلُوهُ " أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ " فَسَّرُوا مُرَادَهُمْ كَمَا سُئِلَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التستري عَنْ الْإِيمَانِ مَا هُوَ ؟ فَقَالَ : قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ وَسُنَّةٌ لِأَنَّ الْإِيمَانَ إذَا كَانَ قَوْلًا بِلَا عَمَلٍ فَهُوَ كُفْرٌ وَإِذَا كَانَ قَوْلًا وَعَمَلًا بِلَا نِيَّةٍ فَهُوَ نِفَاقٌ وَإِذَا كَانَ قَوْلًا وَعَمَلًا وَنِيَّةً بِلَا سُنَّةٍ فَهُوَ بِدْعَةٌ .

[208] السنة لعبد الله بن أحمد (ص / 347) وبراءة أهل الحديث (ص / 98)

ذ

وَالصِّيَامَ وَالْحَجَّ وَيَعِيشُ دَهْرَهُ لَا يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً وَلَا يَصُومُ مِنْ رَمَضَانَ وَلَا يُؤَدِّي لِلَّهِ زَكَاةً وَلَا يَحُجُّ إلَى بَيْتِهِ ، فَهَذَا مُمْتَنِعٌ ، وَلَا يَصْدُرُ هَذَا إلَّا مَعَ نِفَاقٍ فِي الْقَلْبِ وَزَنْدَقَةٍ ، لَا مَعَ إيمَانٍ صَحِيحٍ [209] .

قال ابن القيم :

إذا كان الإيمان يزول بزوال عمل القلب فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم اعمال الجوارح ولا سيما إذا كان ملزوما لعدم محبة القلب وانقياده الذي هو ملزوم لعدم التصديق الجازم ا.هـ [210] .

وقد ترجم ابن بطة العكبرى بَابُ: بَيَانِ الْإِيمَانِ وَفَرْضِهِ وَأَنَّهُ تَصْدِيقٌ بِالْقَلْبِ وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ وَالْحَرَكَاتِ، لَا يَكُونُ الْعَبْدُ مُؤْمِنًا إِلَّا بِهَذِهِ الثَّلَاثِ.[211]

** **سُئل أحمد بن حنبل** : عمَّن يقول أنَّ الذي لم يفعل ما قاله جبريل للنبي- صلي الله عيه وسلم- فهو مسلم ؟ فقال – رحمه الله- هذا معاند للحديث [212]. ***وقد علَّق شيخ الإسلام على كلام أحمد فقال** :

فقد جعل أحمد من جعله مسلمًا إذا لم يأت بالخمس معاندًا للحديث، مع قوله: إن الإسلام الإقرار، فدل ذلك على أن ذاك أول الدخول في الإسلام، وأنه لا يكون قائمًا بالإسلام الواجب حتى يأتي بالخمس، وإطلاق الاسم مشروط بها، فإنه ذم من لم يتبع حديث جبريل.

وأيضًا، فهو في أكثر أجوبته يكفر من لم يأت بالصلاة، بل

---

209 مجموع الفتاوي(7/611)
210 الصلاة وحكم تاركها (ص/71)
211 الإبانة (3/87)
212 انظر السنة للخلال (3/166)

ذ

وبغيرها من المباني، والكافر لا يكون مسلمًا باتفاق المسلمين، فعلم أنه لم يرد أن الإسلام هو مجرد القول بلا عمل . ا.هـ [213] . فحديث جبريل اشتمل على أركان العمل الظاهر " الإسلام " وأركان الاعتقاد الباطن " الإيمان " وهو لتأخره قاض على كل ما سبق من أحاديث فيها إطلاق دخول الجنة بمجرد الشهادة، أو نقص فى عدد الأركان ونحو ذلك ،وقد صرح فيه بأنه إذا فعل الأركان الظاهرة فهو مسلم، وإذا فعل الأركان الباطنة فهو مؤمن، ومن هذين يتركب الدين وتتكون حقيقته.

ومعلوم أنه لو ترك أركان الإيمان كان كافراً اتفاقاً ، فكذا إذا ترك أركان الإسلام لا يكون مسلماً، فمن قال: إنه مسلم مع ترك الأركان الأربعة، التي هى رأس العمل الظاهر، فقد عاند الحديث فى قوله: "فإن فعلت هذا فأنا مسلم؟ قال: نعم" [214] .

- **قال سفيان الثوري : « أهل السنة يقولون : » الإيمان قول وعمل ؛ مخافة أن يزكوا أنفسهم ، لا يجوز عمل إلا بإيمان ، ولا إيمان إلا بعمل ، فإن قال : من إمامك في هذا ؟ فقل : سفيان الثوري [215] .**

قال الوليد بن مسلم : قال : سمعت الأوزاعي ، ومالك بن أنس ، وسعيد بن عبد العزيز ، ينكرون قول من يقول : إن الإيمان قول بلا عمل ،

---

[213] **وانظر الإيمان(ص/291)**
[214] ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي(ص/467)
[215] وانظر شرح اعتقاد أهل السنة (4/403)

ويقولون : « لا إيمان إلا بعمل ، ولا عمل إلا بإيمان »[216]

- **قال ابن القيم** :

الإيمان له ظاهر وباطن، وظاهره قول اللسان وعمل الجوارح وباطنه تصديق القلب وانقياده ومحبته ، فلا ينفع ظاهر لا باطن له ، وإن حقن به الدماء وعصم به المال والذرية .

ولا يجزىء باطن لا ظاهر له ، إلا إذا تعذَّر بعجز أو إكراه وخوف هلاك ، فتخلُف العمل ظاهراً مع عدم المانع دليل علي فساد الباطن وخلوه من الإيمان ونقصه دليل نقصه ،وقوته دليل قوته. فالإيمان قلب الإسلام ولبه ، واليقين قلب الإيمان ولبه. وكل علم وعمل لا يزيد الإيمان واليقين قوة فمدخول وكل إيمان لا يبعث على العمل فمدخول ا.هـ [217] .

قال محمد بن عبد الوهاب :اعلم أن دين الله يكون على القلب بالاعتقاد ،ويكون على اللسان بالنطق ، وترك النطق بالكفر ،ويكون على الجوارح بفعل أركان الإسلام وترك الأفعال التي تُكفر ،فإذا اختل واحدة من هذه الثلاث كفر وارتد [218] .

****** يقول العلامة ابن باز مع حوار له مع مجلة المشكاة :*** وقد سُئل عما قاله ابن حجر فى الفتح من أن السلف جعلوا أعمال الاركان شرط كمال للإيمان ؟

فأجاب : لا ، بل هو جزء من الإيمان ، فالإيمان قول

---

[216] المصدر السابق(4/142)

[217] الفوائد ص 117

[218] وانظر الدرر السنية (10/ 87)وبراءة أهل الحديث (ص/212)

وعمل عند أهل السنة و الجماعة .
*فسُئل :هناك من يقول أنه داخل فى الإيمان ، لكنه شرط كمال ؟
فأجاب : لا لا ما هو بشرط كمال ، هو جزء من الإيمان ، هذا قول المرجئة المرجئة يرون الإيمان قول فقط وتصديق فقط .
* **فسُئل** : إنكم لم تُعلقوا على هذا الموضع فى أول الفتح ؟ **فقال :**
يمكن مر ولم نتفطن له ***. انتهى كلامه رحمه الله*** [219] .
كذلك فإن الشيخ ابن باز كان قد حذَّر من كتاب **(ضبط الضوابط فى الإيمان ونواقضه)** واعتبر كاتبه

[219] كذلك فالشيخ ابن باز قدعلَّق على كتاب " التوسط والاقتصاد في أن الكفر يكون بالقول أو الفعل أو الاعتقاد " للشيخ علوي بن عبد القادر السقاف بقوله :اطلعت علي الرسالة وقرأتها كلها فألفيتها رسالة قيمة مفيدة يحسن طبعها ونشرها ليستفيد منها المسلمون ا.هـ
حيث أنَّ المؤلف لهذا الكتاب قد ذكر كلام ابن حجر في الفتح والذي ذكر فيه أن معتقد أهل السنة أنَّ العمل شرط كمال للإيمان ......، **فقال المؤلف**:وكلامه هذا عليه مآخذ أهمها نسبته القول بأن الأعمال شرطٌ في كمال الإيمان عند السلف ، وهو علي إطلاقه غير صحيح ،**بل في ذلك تفصيل**:
فالأعمال المكفِّرة سواء كانت تركاً- كترك جنس العمل أوالشهادتين أو الصلاة – أوكانت فعلاً- كالسجود لصنم أو الذبح لغير الله- فهي شرط في صحة الإيمان،وما كان ذنباً دون الكفر فشرط كمال ، و إنما أوردت كلامه هنا لحكمه بالكفر علي من فعل فعلاً يدل علي كفره كالسجود لصنم دون أن يقيده بالاعتقاد .علي أن العبارة فيها نظر أيضاً ؛ فالسجود لصنم كفر بمجرده وليس فعلاً يدل علي الكفر .ا.هـ
* وكذلك فمن قبل هذا قد أنكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله - هذا الموضع المذكور فى فتح البارى فى مؤلفاته. وانظربراءة أهل الحديث (ص/214)

ذ

داعياً لمذهب الإرجاء المذموم ، وهذا الكتاب المحذر منه يرى أن عمل الجوارح شرط كمال فى الإيمان ، وأن تاركه بالكلية عاص مُعرض للوعيد ، ولو كان الشيخ - رحمه الله - يرى أن هذه المسألة خلافية لما حذر من كتاب المذكور ولما وصفه بالإرجاء [220].

-وكذلك قد سُئل الشيخ ابن باز-رحمه الله-عن الأعمال أهي شرط صحة أم شرط كمال؟

فقال :من الأعمال شرط صحة للإيمان ،لا يصح الإيمان إلا بها كالصلاة، فمن تركها فقد كفر، ومنها ما هو شرط كمال يصح الإيمان بدونها ،مع عصيان تاركها .[221]

وقال رحمه الله:والعمل شرط صحة عند الجميع ،إلا أنهم اختلفوا فيما يصح الإيمان به منه ،فقالت جماعة:إنه الصلاة ، وعليه إجماع الصحابة ، كما حكاه عبد الله بن شقيق.[222]

قال العلامة الألباني :-الإيمان بدون عمل لا يفيد,ولا يتصور إيماناً بدون عمل صالح إنسان يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ,ويعيش دهره ولا يعمل صالحاً,فهو دليل أنه يقولها بلسانه ,ولم يدخل الإيمان إلي قلبه. **[223]**

---

[220] ونص هذا التحذير صادر من اللجنة الدائمة برئاسة الشيخ ابن باز - رحمه الله - وانظر لذلك الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل (2/54)

[221]) وقد علّق الشيخ صالح الفوزان عن هذا الموضع قائلاً :لكن جنس العمل هو من حقيقة الإيمان ,وليس شرطاً فقط .ا.هـ وانظر الإيمان عند السلف(2/58)

[222] جريدة الرياض(عدد/12506)وانظرالإيمان عند السلف(2/58)

[223] ذكره في شرح الأدب المفرد ،و ما ورد عن الشيخ من أن العمل شرط كمال فقد أجاب عن ذلك د. عبد الله الزاحم بأن ذلك محمول على آحاد العمل . وانظر الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل (2/60)

ذ

***** تصريح شيخ الإسلام بأن من لم يأت بعمل الجوارح فهو كافر :**
قال في معرض تقريره لكفر تارك الصلاة : وأيضاً فإن الإيمان عند أهل السنة و الجماعة قول وعمل ، كما دل عليه الكتاب و السنة ، وأجمع عليه السلف ، فالقول تصديق الرسول و العمل تصديق القول ، فإذا خلا العبد عن العمل بالكلية لم يكن مؤمناًـ والقول الذي يصير به مؤمن قول مخصوص و هو الشهادتان ، فكذلك العمل هو الصلاة ، وأيضا فإن حقيقة الدين هو الطاعة و الانقياد ، وذلك إنما يتم بالفعل لا بالقول فقط ، فمن لم يفعل لله شيئاً فما دان لله ديناً ، و من لا دين له فهو كافر. ا.هـ [224]
و**قال – رحمه الله -:**
وأيضا فإن حقيقة الدين هو الطاعة والانقياد وذلك إنما يتم بالفعل لا بالقول فقط فمن لم يفعل لله شيئا فما دان لله دينا ومن لا دين له فهو كافر [226] .

- ففي قول شيخ الإسلام هذا تصريح بكفر من لم يأت بالعمل ، كذا صرح أن انتفاء عمل الجوارح مع القدرة والعلم بها لا يكون إلا مع نفاق في القلب وزندقة .

****** وكذلك صرح أن الرجل لا يكون مؤمناً بالله ورسوله مع عدم شيء من الواجبات فقال :***
وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الدِّينَ لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ ، وَأَنَّهُ يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ بِقَلْبِهِ أَوْ

---

[224] ذكره في شرح العمدة (1/86) وانظر براءة أهل الحديث من بدعة المرجئة(ص /110)والنقول في ذلك عن شيخ الاسلام كثيرة يرجع إليها في مجموع الفتاوى (7/616) (7/621) (7/333) (7 / 334) (7/202) (7/556) و الجواب الصحيح (6/487)

[225]

[226] وانظر شرح العمدة(2/86)وانظر الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل(2/26)

ذ

بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَلَمْ يُؤَدِّ وَاجِبًا ظَاهِرًا وَلَا صَلَاةً وَلَا زَكَاةً وَلَا صِيَامًا وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ الْوَاجِبَاتِ ، وَمَنْ قَالَ : بِحُصُولِ " *الْإِيمَانِ الْوَاجِبِ* " بِدُونِ فِعْلِ شَيْءٍ مِنْ الْوَاجِبَاتِ سَوَاءٌ جَعَلَ فِعْلَ تِلْكَ الْوَاجِبَاتِ لَازِمًا لَهُ ؛ أَوْ جُزْءًا مِنْهُ فَهَذَا نِزَاعٌ لَفْظِيٌّ كَانَ مُخْطِئًا خَطَأً بَيِّنًا وَهَذِهِ بِدْعَةُ الْإِرْجَاءِ الَّتِي أَعْظَمَ السَّلَفُ وَالْأَئِمَّةُ الْكَلَامَ فِي أَهْلِهَا ، وَقَالُوا فِيهَا مِنْ الْمَقَالَاتِ الْغَلِيظَةِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ ، وَالصَّلَاةُ هِيَ أَعْظَمُهَا وَأَعَمُّهَا وَأَوَّلُهَا وَأَجَلُّهَا .[227]

تنبيه مهم :

قوله الإيمان الواجب أي أصل الإيمان ، ودليله أن هذا الكلام وما قبله جاء استطراداً من شيخ الإسلام لبيان كفر تارك الصلاة على الحقيقة (أي في الباطن) لذا قال في نهايته (والصلاة هي أعظمها وأولها وأجلها) وإن كان أحياناً يستعمل لفظ (الإيمان الواجب) و يريد به ما زاد عن أصل الإيمان ,والسياق هو المحدد.[228]

:

*** ***سئل الشيخ الفوزان عن : حكم من ترك جميع العمل الظاهر بالكلية لكنه نطق بالشهادتين ويقر بالفرائض لكنه لا يعمل شيئاً البتة، فهل هذا مسلم أم لا ؟ علماً بأن ليس له عذر شرعي يمنعه من القيام بتلك الفرائض ؟***

فقال :

هذا لا يكون مؤمناً، من كان يعتقد بقلبه ويقر بلسانه ولكنه لا يعمل بجوارحه ، عطّل الأعمال كلها من غير عذر هذا ليس بمؤمن ؛ لأن الإيمان كما ذكرنا وكما عرفه أهل السنة

[227] انظر مجموع الفتاوي(7 /621)

[228] وانظر الإيمان عند السلف(2/28)

ذ

والجماعة أنه : قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، لا يحصل الإيمان إلا بمجموع هذه الأمور، فمن ترك واحداً منها فإنّه لا يكون مؤمناً .[229]

*** ***<u>الإجماع علي كفر تارك العمل بالكلية:</u>*** -

نقل هذا الإجماع غير واحد من أهل العلم منهم الأوزاعي(ت/157هـ) والشافعي(ت/204هـ) والحميدي (ت/219هـ) والآجري(ت/360هـ)وابن بطة العكبري(ت/387هـ) وشيخ الإسلام ابن تيمية(ت/728) ومحمد بن عبد الوهاب(ت/1206هـ)

ونص كلام الشافعي أنه قال :

وَكَانَ الْإِجْمَاعُ مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَنْ أَدْرَكْنَاهُمْ يَقُولُونَ : الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ لَا يُجْزِئُ وَاحِدٌ مِنْ الثَّلَاثِ إلَّا بِالْآخَرِ [230] .

- وقوله " **ونية** " إشارة أن العمل المراد به هنا عمل الجوارح ، أما النية فهي عمل القلب ، لئلا تحمل كلمة (عمل) علي عمل القلب أو القلب مع الجوارح .

وقال الإمام الحافظ الحميدي :

: وأخبرت أن قوماً يقولون : إن من أقر بالصلاة والزكاة والصوم والحج ولم يفعل من ذلك شيئا

---

[229] أسئلة وأجوبة في مسائل الإيمان والكفر (ص/5)

[230] انظرمجموع الفتاوي(7/209،308) وشرح أصول إعتقاد أهل السنة(رقم / 1593) **فائدة** :فإن قيل :يرِد على كلام الشافعي **– رحمه الله –** إشكال مفاده أن الشافعي لا يكفر تارك الصلاة ، فكيف يُجمع بين هذا وبين ذلك الإجماع ؟؟؟ قلنا وجوابه من وجهين :**الأول** :الجزم بأن الشافعي لا يكفر تارك الصلاة لا يصح ؛ فقد نقل الطحاوى عن الشافعي قولاً واحداً وهو القول بكفره تاركها ،وحكى عنه ابن كثير القولين في تفسيره(مريم /59) وأما **الجواب الثاني** :أنه لا تلازم بين المسألتين ؛فأهل السنة مجمعون على عدم صحة الإيمان بترك العمل الظاهر بالكلية ،وإن اختلفوا في ترك آحاد العمل ، كالصلاة .

حتى يموت ، أو يصلي مسند ظهره مستدبر القبلة حتى يموت فهو مؤمن ، ما لم يكن جاحداً، إذا علم أن تركه ذلك في إيمانه إذا كان يقر الفروض واستقبال القبلة ، فقلت : هذا الكفر بالله الصراح ، وخلاف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وفعل المسلمين ، قال الله جل وعز : وما أُمروا إلا أن يعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة .[231]

قال الشيخ محمد عبد الوهاب :
لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلما . فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما ، وهذا يغلط فيه كثير من الناس ا.هـ [232]
فقوله رحمه الله:. " لا خلاف" هي من عبارات نقل الإجماع.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن:.
فلا ينفع القول والتصديق بدون العمل، فلا يصدق الإيمان الشرعي على الإنسان إلا باجتماع الثلاثة: التصديق بالقلب وعمله، والقول باللسان، والعمل بالأركان.وهذا قول أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً، والله سبحانه وتعالى أعلم[233] .

---

[231] الخلال في السنة (رقم/1027) وانظر براءة أهل الحديث من بدعة المرجئة(ص/80)
[232] كشف الشبهات (ص/44) وبراءة أهل الحديث(ص/88)
[233] انظر فتح المجيد (ص/ 348) وبراءة أهل الحديث من بدعة المرجئة (89)

ذ

•

.

**** فتاوي تتعلق بهذه المسألة:**

- ***سُئل – الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله - عن شخص قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه مصدقاً بقلبه مستسلماً منقاداً ، لكنه لم يعمل بجوارحه خيراً قط مع إمكان العمل ،هل هو داخل تحت المشيئة؟***

فأجاب –

إذا كان لا يصلي فهو كافر ، ولو كان صادقاً بقول لا إله إلا الله مخلصاً بها والله لن يترك الصلاة ، فقد جاء في الأدلة من القرآن والسنة و النظر الصحيح وإجماع الصحابة أنَّ تارك الصلاة كافر مخلد في النار ،وليس داخلاً تحت المشيئة**.**

**** و سئل العلامة صالح الفوزان ما حكم من ترك جميع العمل الظاهر بالكلية لكنه نطق بالشهادتين ويقر بالفرائض ، لكنه لا يعمل شيئاً ألبتة، فهل هذا مسلم أم لا ؟ علمًا بأن ليس له عذر شرعي يمنعه من القيام بتلك الفرائض ؟**

***الجواب*: هذا لا يكون مؤمنًا، من كان يعتقد بقلبه ويقر بلسانه ولكنه لا يعمل بجوارحه، عطَّل الأعمال كلها من غير عذر هذا ليس بمؤمن، لأن الإيمان كما ذكرنا وكما عرفه أهل السنة والجماعة أنه: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، لا يحصل الإيمان إلا بمجموع هذه الأمور،**

ذ

فمن ترك واحدًا منها فلا يكون مؤمنًا . [234]

****** وقد سئل العلامة صالح الفوزان : هل القول أن الأعمال شرط كمال من أقوال أهل السنة ؟***

فقال : هذا تدليس وتناقض ، ليس هذا من أقوال أهل السنة، قول أهل السنة أن الإيمان قول وعمل ، فكما أن الإيمان لا يصح بلا قول ، فكذا لا يصح بلا عمل ا.هـ

*** وقال رحمه الله :**

القول أن الإيمان قول وعمل واعتقاد .. ثم يقول : إن العمل شرط في كمال الإيمان وفي صحته، هذا تناقض !! كيف يكون العمل من الإيمان ثم يقول العمل شرط، ومعلوم أن الشرط يكون خارج المشروط، فهذا تناقض منه . وهذا يريد أن يجمع بين قول السلف وقول المتأخرين وهو لا يفهم التناقض، لأنه لا يعرف قول السلف ولا يعرف حقيقة قول المتأخرين ، فأراد أن يدمج بينهما .. فالإيمان قول وعمل واعتقاد ، والعمل هو من الإيمان وهو الإيمان، وليس هو شرطاً من شروط صحة الإيمان أو شرط كمال أو غير ذلك من هذه الأقوال التي يروجونها الآن **.**[235]

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك:

لا يصح إطلاق القول بأنَّ العمل شرط كمال للإيمان ؛لأنَّ ذلك يتضمن أن الإنسان يشهد الشهادتين ولا يعمل شيئاً من دين الإسلام أبداً . وهذا هو الذي عبَّر عنه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في النواقض وجعل الناقض العاشر: الإعراض عن دين الإسلام لا يتعلمه ولا يعمل به .ا.هـ.

وقال - حفظه الله- :

وإذا انتفت أعمال الجوارح كلها فهذا لا يكاد يكون صادقاً أو

---

[234] وانظر أقوال ذوي العرفان(ص/36)

[235] مسائل الإيمان والكفر(ص/3)

ذ

لا يكون صادقاً ، فإنَّ الإعراض الكلي من نواقض الإيمان .ا.هـ [236]

وقد نقل إجماع الصحابة علي كفر تارك الصلاة عبد الله بن شفيق وإسحاق بن راهويه وأيوب السختياني .

*

***** لوازم باطلة لمن جعل العمل شرط كمال ، لا شرط صحة:***

1 - يلزم منه أنَّ العمل الذي أشاروا إليه ليس هو إتيان ما أمر الله - تعالي – به، بل هو ترك المكفرات ، فعلي قولهم فإن الإيمان هو ما كان قولاً باللسان وعملاً – ويكون العمل ترك ما ينقض الإيمان من مكفرات ، فهذا هو لازم قولهم ، وأنه لا كفر إلا كفر الجحود والتكذيب.[237]

ومثل هذا القول هو قول محدث لم يأت في كلام السلف ،؛ وذلك لأنه جعل أعمال الجوارح لا وجود لها حقيقة

---

[236] انظر الإيمان عند السلف(1/335)

[237] وقد أصدرت اللجنة الدائمة للفتوي عدة تحذيرات من جملة من الكتب التي تشتمل علي هذا الأصل ونسبت هذا الأصل إلي مذهب المرجئة, ومن ذلك قول اللجنة : وقد اطلعت اللجنة علي ذلك فوجدته كتاباً يدعو إلي مذهب الإرجاء المذموم ,لأنه لا يعتبر الأعمال الظاهرة داخلة في حقيقة الإيمان, وهذا خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة.ا.هـ. انظر التحذير من الإرجاء والكتب الداعية إليه (ص/40)

في مسمى الإيمان .

وممَّا يقوِّي القول بأنه قول محدث:

أن أقوال الناس في دخول العمل في الإيمان من عدمه علي أقوال:

1- الأعمال الظاهرة داخلة في الإيمان ،ينتفي الإيمان الباطن بانتفاءها ، وهو قول أهل السنة .
2- الأعمال الظاهرة ليست داخلة في الإيمان ،وإن انتفت لم ينتف الإيمان ، لكن تاركها معرض للوعيد .
3 -والثالث هو المحدث والذي سمَّاه العلامة ابن باز أنه قول المرجئة :وهو القول بأن الأعمال داخلة في مسمي الإيمان ، لكن لا ينتفي الإيمان بانتفائها.[238]

قال الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد – رحمه الله - : وإياك ثم إياك –

أيها المسلم – أن تغتر بما فاه به بعض الناس من التهوين بواحد من الأسس الخمسة لحقيقة الإيمان [239] ،لا سيما ما تلقفوه عن الجهمية وغلاة المرجئة من أن العمل كمالي في حقيقة الإيمان ليس ركناً فيها , وهذا إعراض عن الحكم من كتاب الله - تعالي – في نحو ستين موضعاً , ونحوها في السنة كثير , وحذف لإجماع الصحابة ومن تبعهم بإحسان .ا.هـ[240] .

---

[238] وكذلك فمن العبارات التي تدل على الإرجاء المحض : قولهم أن الإيمان بالله أصل ، والإيمان لله فرع ، ويقصدون بقولهم " الإيمان بالله " هو أصل الإيمان ، والذي هو قول القلب وعمله ، ويقصدون بـ "الإيمان لله " هو عمل الجوارح ،حيث جعلوه فرعاً ، وشرط كمال ، فتنبه .

[239] وهذه الأسس الخمسة هي أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان ،يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

[240] انظر درء الفتنة عن أهل السنة (ص/34)والإيمان عند السلف (2/56)

ذ

فإذا وجد الإيمان فى القلب امتنع أن لا يتكلم بالشهادتين ، أو لا يعمل مع القدرة على ذلك ، فعدم العمل دليل على عدم الإيمان وانتفائه ، ويُمتنع أن يحب الإنسان غيره حباً جازماً ، ثم لا يحصل منه حركة ظاهرة لوصله ، فمن الخطأ أن يُظن أن الإيمان إذا وجد فى القلب يتخلف عنه العمل [241] .

** **قال شيخ الإسلام** : ومنشأ الغلط ظنهم أن ما فى القلب من الإيمان المقبول ، يمكن تخلف القول الظاهر والعمل الظاهر عنه .ا.هـ [242]

وقال رحمه الله :

وَمَنْ قَالَ : بِحُصُولِ الْإِيمَانِ الْوَاجِبِ بِدُونِ فِعْلِ شَيْءٍ مِنْ الْوَاجِبَاتِ سَوَاءٌ جَعَلَ فِعْلَ تِلْكَ الْوَاجِبَاتِ لَازِمًا لَهُ ؛ أَوْ جُزْءًا مِنْهُ فَهَذَا نِزَاعٌ لَفْظِيٌّ كَانَ مُخْطِئًا خَطَأً بَيِّنًا وَهَذِهِ بِدْعَةُ الْإِرْجَاءِ الَّتِي أَعْظَمَ السَّلَفُ وَالْأَئِمَّةُ الْكَلَامَ فِي أَهْلِهَا وَقَالُوا فِيهَا مِنْ الْمَقَالَاتِ الْغَلِيظَةِ ا.هـ [243]

** ***ونود أن نختم هذا المبحث بكلام جامع قيم للإمام ابن القيم ،قال فيه*** : ذكرنا في أول الكتاب جملة من مقالات أهل السنة والحديث التي أجمعوا عليها ، كما حكاه الأشعري عنهم ونحن نحكي إجماعهم كما حكاه حرب صاحب الإمام أحمد عنهم بلفظه ، قال في مسائله المشهورة : هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم - إلى يومنا هذا ، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها ، فمن

[241] انظر الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل (2/80)

[242] مجموع الفتاوى (7/554)

[243] مجموع الفتاوى (7/621)

ذ

خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق قال ، وهو مذهب أحمد وإسحاق بن إبراهيم وعبد الله بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم ، كمن جالسنا وأخذنا عنهم العلم ، وكان من قولهم : أن الإيمان قول وعمل ونية وتمسك بالسنة والإيمان يزيد وينقص ويستثنى من الإيمان غير أن لا يكون الاستثناء شكا إنما هي سنة ماضية سد العلماء فإذا سئل الرجل أمؤمن أنت ؟ فإنه يقول : أنا مؤمن إن شاء الله ، أو مؤمن أرجو الله ، ويقول آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله ، ومن زعم أن الإيمان قول بلا عمل فهو مرجىء ، ومن زعم أن الإيمان هو القول والأعمال شرائع فهو مرجئ ومن زعم أن الإيمان يزيد ولا ينقص فقد قال بقول المرجئة ، ومن لم ير الإستثناء في الإيمان فهو مرجئ ، ومن زعم أن إيمانه كإيمان جبريل والملائكة فهو مرجئ ، ومن زعم أن المعرفة في القلب وأن لم يتكلم بها فهو مرجئ [244] .ا.هـ .

*** *مسألة التلازم بين الظاهر والباطن*:

وأنما أردنا في هذا المبحث أن نبين الخطأ البيِّن الذي وقع طوائف المرجئة التى تصورت إيماناً في القلب مع انتفاء العمل الظاهر المتمثل في أعمال الجوارح ،وهذا أصل قد خالفوا فيه الكتاب والسنة والإجماع .

أولاً: معنى التلازم بين الظاهر والباطن:

هو ارتباط الظاهر بالباطن وتأثير كل منهما في الآخر، بحيث يستحيل وجود إيمان صحيح في الباطن من غير أن يظهر

[244] **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص/409)**

موجبه ومقتضاه علي أعمال الجوارح ، قولاً وعملاً . بل حيث وُجد الإيمان في الباطن لزم أن يظهر ذلك في أعمال الجوارح، فالعمل الظاهر لازم للإيمان، والباطن لا ينفك عنه ، وانتفاء اللازم دليل علي انتفاء الملزوم ، فيستدل بانتفاء العمل الظاهر بالكلية علي فساد الباطن [245].

1- قال تعالي: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ{ **(المجادلة/22)**

2- وقال تعالي: {وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (46)} **(التوبة /46)**

3- وقال تعالي: {وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (81)} **(المائدة /81)**

4- وقال تعالي: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (140)} **(النساء/140)**

5- وقال تعالى ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُم **(30)**

[245] وانظر مسائل الإيمان للفوزان (ص/23)

ذ

(محمد/30) -6

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ:َإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».[246]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

فأخبر أن صلاح القلب مستلزم لصلاح سائر الجسد ،وفساده مستلزم لفساده ،فإذا رأى ظاهر الجسد فاسداً غير صالح ،علم أن القلب ليس بصالح ،ويُمتنع فساد الظاهر مع صلاح الباطن[247].

***** وقال – رحمه الله-:***

وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الدِّينَ لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ وَأَنَّهُ يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ بِقَلْبِهِ أَوْ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَلَمْ يُؤَدِّ وَاجِبًا ظَاهِرًا وَلَا صَلَاةً وَلَا زَكَاةً وَلَا صِيَامًا وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ الْوَاجِبَاتِ لَا لِأَجْلِ أَنَّ اللَّهَ أَوْجَبَهَا ، مِثْلَ أَنْ يُؤَدِّيَ الْأَمَانَةَ أَوْ يُصَدِّقَ الْحَدِيثَ أَوْ يَعْدِلَ فِي قَسَمِهِ وَحُكْمِهِ مِنْ غَيْرِ إيمَانٍ بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ مِنْ الْكُفْرِ فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلَ الْكِتَابِ يَرَوْنَ وُجُوبَ هَذِهِ الْأُمُورِ فَلَا يَكُونُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ مَعَ عَدَمِ شَيْءٍ مِنْ الْوَاجِبَاتِ الَّتِي يَخْتَصُّ بِإِيجَابِهَا مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمَنْ قَالَ: بِحُصُولِ الْإِيمَانِ الْوَاجِبِ بِدُونِ فِعْلِ شَيْءٍ مِنْ الْوَاجِبَاتِ سَوَاءٌ جَعَلَ فِعْلَ تِلْكَ الْوَاجِبَاتِ لَازِمًا لَهُ؛ أَوْ جُزْءًا مِنْهُ فَهَذَا نِزَاعٌ لَفْظِيٌّ كَانَ مُخْطِئًا خَطَأً بَيِّنًا ، وَهَذِهِ بِدْعَةُ الْإِرْجَاءِ الَّتِي أَعْظَمَ

---

[246] متفق عليه

[247] وانظر الآداب الشرعية والمنح المرعية (1/177)

ذ

السَّلَفُ وَالْأَئِمَّةُ الْكَلَامَ فِي أَهْلِهَا ، وَقَالُوا فِيهَا مِنْ الْمَقَالَاتِ الْغَلِيظَةِ ا.هـ [248]

** **وقال - رحمه الله-:**

لِأَنَّهُ مَتَى ثَبَتَ الْإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ وَالتَّصْدِيقُ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ وَجَبَ حُصُولُ مُقْتَضِي ذَلِكَ ضَرُورَةً؛ فَإِنَّهُ مَا أَسَرَّ أَحَدٌ سَرِيرَةً إلَّا أَبْدَاهَا اللَّهُ عَلَى صَفَحَاتِ وَجْهِهِ وَفَلَتَاتِ لِسَانِهِ فَإِذَا ثَبَتَ التَّصْدِيقُ فِي الْقَلْبِ لَمْ يَتَخَلَّفْ الْعَمَلُ بِمُقْتَضَاهُ أَلْبَتَّةَ فَلَا تَسْتَقِرُّ مَعْرِفَةٌ تَامَّةٌ وَمَحَبَّةٌ صَحِيحَةٌ وَلَا يَكُونُ لَهَا أَثَرٌ فِي الظَّاهِرِ. وَلِهَذَا يَنْفِي اللَّهُ الْإِيمَانَ عَمَّنْ انْتَفَتْ عَنْهُ لَوَازِمُهُ؛ فَإِنَّ انْتِفَاءَ اللَّازِمِ يَقْتَضِي انْتِفَاءَ الْمَلْزُومِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ} وَقَوْلِهِ: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} الْآيَةَ وَنَحْوَهَا فَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ مُتَلَازِمَانِ لَا يَكُونُ الظَّاهِرُ مُسْتَقِيمًا إلَّا مَعَ اسْتِقَامَةِ الْبَاطِنِ وَإِذَا اسْتَقَامَ الْبَاطِنُ فَلَا بُدَّ أَنْ يَسْتَقِيمَ الظَّاهِرُ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {أَلَا إنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ} ا.هـ[249]

** ***وقال ابن القيم:***

على أنا نقول لا يصر على ترك الصلاة إصراراً مستمراً من يصدق بأن الله أمر بها أصلاً ؛ فإنه يستحيل في العادة والطبيعة أن يكون الرجل مصدقاً تصديقاً جازماً أن الله فرض عليه كل يوم وليلة خمس صلوات وأنه يعاقبه على تركها أشد العقاب وهو مع ذلك مصرٌ على تركها ، هذا من

[248] مجموع الفتاوى(7/621)

[249] المصدر السابق(18/272)

ذ

المستحيل قطعاً ، فلا يحافظ على تركها مصدق بفرضها أبداً ؛ فإن الايمان يأمر صاحبه بها فحيث لم يكن في قلبه ما يأمر بها فليس في قلبه شيء من الإيمان.

ولا تصغ إلى كلام من ليس له خبره ولا علم بأحكام القلوب وأعمالها ، وتأمل في الطبيعة بأن يقوم بقلب العبد إيمان بالوعد والوعيد والجنة والنار ،وأن الله فرض عليه الصلاة وأن الله يعاقبه معاقبة على تركها وهو محافظ على الترك في صحته وعافيته وعدم الموانع المانعة له من الفعل.[250]

**** وقال رحمه الله**:
الْإِيمَان لَهُ ظَاهر وباطن ، وَظَاهره قَول اللِّسَان وَعمل الْجَوَارِح ، وباطنه تَصْدِيق الْقلب وانقياده ومحبته ، فَلَا ينفع ظَاهر لَا بَاطِن لَهُ ، وَإِن حُقن بِهِ الدِّمَاء وعُصم بِهِ المَال والذريّة، وَلَا يجزىء بَاطِن لَا ظَاهر لَهُ ،إِلَّا إِذا تعذّر بعجز أَو إِكْرَاه وَخَوف هَلَاك ، فَتخلفْ الْعَمَل ظَاهراً مَعَ عدم الْمَانِع دَلِيل على فَسَاد الْبَاطِن وخلوّه من الْإِيمَان ونقصه دَلِيل نَقصه وقوته دَلِيل قوته .[251]

يقول ابن عثيمين: ومن قال لا إله إلا الله صادقاً مخلصاً بها والله لن يترك الصلاة ا.هـ.

*** وفيما سبق دلالة علي التلازم بين الظاهر والباطن، وفيه رد علي من توهم حصول الإيمان في القلب مع تخلف العمل الظاهر بالكلية .

[250] الصلاة وحكم تاركها (ص/47)
[251] وانظر الفوائد(ص/86)وبراءة أهل السنة من بدعة المرجئة(ص/208)

ذ

- وإن تأملت قول المخالف - الذي يثبت أصل الإيمان مع الترك الكلي لأعمال الجوارح - وجدته ممن يغفل عن هذا التلازم بين الظاهر والباطن حقيقةً ، فيتصور قيام المحبة بالقلب من غير أن يفعل البدن بالممكن من أعمال الجوارح، بل يُتصور أن يعيش الرجل دهره لا يسجد لله سجدةً، ولا يفعل له طاعةً، ثم هو مصدقٌ منقادٌ مستسلمٌ ! وأنه لو عاش عمره يفعل المحرمات ويترك الواجبات، غير أنه لم يأتِ بناقض من نواقض الإسلام فإنه يظل مسلماً؛ لأن معه أصل الإيمان من التصديق وعمل القلب ! !

فهذا إقرار منهم بأن أصل الإيمان في القلب يُتصور وجوده واستمراره مع ترك جميع أعمال الجوارح، وهذا نفي للتلازم ولا شك.

- وأما المرجئة في هذا الباب فهم يخرجون العمل من مسمي الإيمان ، ويعدُّون العملَ ثمرةً للإيمان الباطن، وينازعون في كونه لازماً له ، ويعدُّون العملَ دليلاً علي ما في الباطن، وعلي هذا فالقول فإن قَوْل الْقَائِلِ: الطَّاعَاتُ ثَمَرَاتُ التَّصْدِيقِ الْبَاطِنِ يُرَادُ بِهِ شَيْئَانِ: يُرَادُ بِهِ أَنَّهَا لَوَازِمُ لَهُ فَمَتَى وُجِدَ الْإِيمَانُ الْبَاطِنُ وُجِدَتْ ، وَهَذَا مَذْهَبُ السَّلَفِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ ، وَيُرَادُ بِهِ أَنَّ الْإِيمَانَ الْبَاطِنَ قَدْ يَكُونُ سَبَبًا وَقَدْ يَكُونُ الْإِيمَانُ الْبَاطِنُ تَامًّا

ذ

كَامِلًا ، وَهِيَ لَمْ تُوجَدْ وَهَذَا قَوْلُ الْمُرْجِئَةِ مِنْ الْجَهْمِيَّة وَغَيْرِهِمْ .[252]

.. والحاصل أن التلازم بين الظاهر والباطن فُرقان بين أهل السنة والمرجئة في باب الإيمان، فمن فهم وأدرك هذه القضية زالت عنه شبهات كثيرة في هذا الباب.

***** الشبهات التي استدل بها من قال بعدم كفر تارك العمل بالكلية*****

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُول اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالُ : ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ " قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: " دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدِ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ،

[252] وانظر مجموع الفتاوي (7/363) والإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل .(1/318).

ذ

فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا "، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، ***فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا***، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ [253]

*****فقوله – صلى الله عليه وسلم – " فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ ، قَدْ عَادُوا حُمَمًا"***

فيه دلالة على نجاة تارك العمل من الخلود في النار ، مما يدل على عدم الكفر بترك العمل بالكلية !!!

<u>** فالجواب من وجوه:</u>

1- ***الوجه الأول***:

أما استدلالهم بالرواية (لم يعملوا خيراً قط) فيلزم منه إخراج أناس قالوا كلمة التوحيد بغير صدق ولا يقين ؛ استدلالاً بالنفي التام ، الذي يلزم منه زوال جميع الأعمال بالكلية .

[253] أخرجه مسلم(183)

ذ

فإن قال المخالف: بل معهم ذلك ولا بد ؛ للنصوص الدالة علي اشتراط ذلك لتحقق أصا الإيمان وللنجاة من الخلود في النار .

قلنا كذلك: عليكم أن تثبتوا اشتراط عدم وجود عمل الجوارح – لا سيما الصلاة – لدلالة النصوص التي اشترطت ذلك، ولذا فأنتم بين أمرين:

أ- إما أن تدَّعوا نجاة هؤلاء دون عمل من أعمال القلوب، وهذا هو قول جهم.

ب- وإما أن تثبتوا عمل القلب، ويلزم عندها إثبات عمل الجوارح، وإلا كان في ذلك إنكاراً للتلازم بين الظاهر والباطن، وهو مذهب المرجئة.

2- الوجه الثاني:

دلت النصوص الأخري – بل دل الحديث نفسه – علي أن هؤلاء القوم – أي الناجون من النار – هم من أهل الصلاة ولا بُد، حيث تساقط اليهود والنصاري عُباد الأشجار والأحجار في النار، ولا يبقي إلا من يسجد لله إخلاصاً أو نفاقاً، كما في قوله صلي الله عليه وسلم فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ .[254]

---

[254] متفق عليه

ذ

ثم يُبعَد المنافقون ويبقي المخلصون من أهل الصلاة، وفيهم المقصر والمفرط ،فيدخل بعضُهم النار ليُعذب ثم يخرج بالشفاعة.

***** ويؤيد الوجه السابق:**

أن النصوص قد دلت أن آخِر من ينجو من النارِ هُم مِن المصلِّين، ومنها:
*قوله صلي الله عليه وسلم: حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ، مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَمَرَ المَلائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلامَةِ آثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنَ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدْ امْتُحِشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ [255].

3- الوجه الثالث:

أن لفظة (لم يعمل خيراً قط) قد تُطلق ولا يُراد بها ظاهرها، ويدل عليه:
* حديث أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: " قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ: فَإِذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ وَاذْرُوا نِصْفَهُ فِي البَرِّ، وَنِصْفَهُ فِي البَحْرِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لاَ يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ، فَأَمَرَ اللَّهُ البَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وَأَمَرَ البَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ وَأَنْتَ أَعْلَمُ، فَغَفَرَ لَهُ "[256]

---
[255] متفق عليه .
[256] متفق عليه

- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: " إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ ، وَكَانَ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ: خُذْ مَا تَيَسَّرَ، وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ وَتَجَاوَزْ، لَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَلَمَّا هَلَكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ قال: لَا. إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِي غُلَامٌ وَكُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا بَعَثْتُهُ لِيَتَقَاضَى قُلْتُ لَهُ: خُذْ مَا تَيَسَّرَ، وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ، وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ "[257]

* وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما ذكر الرجل الذي قتل تسعة وتسعين رجلاً وفيه: فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ .[258]

- وفي هذا الحديث أن ملائكة العذاب – وهي التي لا تعصي ولا تكذب – تقول: (لم يعمل خيراً قط)، وتقول ملائكة الرحمة: (جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلي الله) كما أنه بَحَثَ عن التوبة وخرج إلي أرض الصالحين، فعُلم بذلك أنه يُقال عن الرجل أنه لم يعمل خيراً قط ، مع تلبسه ببعض الأعمال الصالحة .[259]

---

[257] أخرجه مسلم

[258] متفق عليه

[259] وانظر الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل(2/140)

ذ

قال أبو بكرابن خزيمة : هَذِهِ اللَّفْظَةُ "***لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ***" مِنَ الْجِنْسِ الَّذِي يَقُولُ الْعَرَبُ: يُنْفَى الِاسْمُ عَنِ الشَّيْءِ لِنَقْصِهِ عَنِ الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ، فَمَعْنَى هَذِهِ اللَّفْظَةِ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ، لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ، عَلَى التَّمَامِ وَالْكَمَالِ، لَا عَلَى مَا أَوْجَبَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ .[260]

- ***وقال أبو عبيد بن سلام***:

فإن قال قائل: كيف يجوز أن يقال: ليس بمؤمن واسم الإيمان غير زائل عنه؟ قيل: هذا كلام العرب المستفيض عندنا غير المستنكر في إزالة العمل عن عامله إذا كان عمله على غير حقيقته، ألا ترى أنهم يقولون للصانع إذا كان ليس بمحكم لعمله: ما صنعت شيئاً ولا عملت عملاً، وإنما وقع معناهم ههنا على نفي التجويد لا على الصنعة نفسها، فهو عندهم عامل بالاسم، وغير عامل في الإتقان [261].

4 -الوجه الرابع :

أن هذا الحديث مقيد بالأحاديث التي دلت على أن ترك بعض الأعمال يكون كفراً ، ككفر تارك الصلاة مثلاً .

- ***سُئل ابن العثيمين عن معني حديث (فيُخرج اللهُ منها قوماً لم يعملوا خيراً قط) ؟***

فأجاب فضيلته فأجاب فضيلته بقوله:

معنى قوله: " لم يعملوا خيرا قط " أنهم ما عملوا أعمالا صالحة، لكن الإيمان قد وقر في قلوبهم، فإما أن يكون

---

[260] التوحيد(ص/426)

[261] وانظر الإيمان لأبي عبيد (ص/33)

هؤلاء قد ماتوا قبل التمكن من العمل ؛ آمنوا ثم ماتوا قبل أن يتمكنوا من العمل، وحينئذ يصدق عليهم أنهم لم يعملوا خيرا قط.

وإما أن يكون هذا الحديث مقيداً بمثل الأحاديث الدالة على أن بعض الأعمال الصالحة تركها كفر، كالصلاة مثلاً؛ فإن من لم يصل فهو كافر، ولو زعم أنه مؤمن بالله ورسوله، والكافر لا تنفعه شفاعة الشافعين يوم القيامة ، وهو خالد مخلد في النار أبد الآبدين - والعياذ بالله - [262] .

وقال – رحمه الله - :

ولكن هذا العموم خص بالأدلة الدالة على كفر تارك الصلاة فيخرج تارك الصلاة من عمومه ، كما هو الشأن في العمومات المخصوصة.

- ***فإن قيل: وهل يليق أن يُطلق علي من معه هذه الشعيرة العظيمة التي هي الصلاة أنه لم يعمل خيراً قط ؟!***

قيل له: وهل يليق أن يُطلق علي من معه عمل القلب من الإخلاص واليقين والصدق أنه لم يعمل خيراً قط ؟ !

4- الوجه الخامس:

أن يُحمل الحديث علي أناس من المؤمنين قد ذهبت حسناتهم بالمقاصة ،فلم يبق لهم حسنات تُذكر، وقد وضعت عليهم سيئات من ظلموا من الناس فأُدخلوا النار ،وقد بقيت معهم كلمة التوحيد ؛ لأنها لا تقبل قسمة الغرماء .

5- الوجه السادس:

[262] مجموع فتاوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين(2/48)

ذ

هو محمول علي حال من يأتي آخر الزمان، حيث يفشو الجهل ويندرس الدين ، كما في حديث حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا ، فَقَالَ لَهُ صِلَةُ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: «يَا صِلَةُ، تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ» ثَلَاثًا [263] .

* وفي الحديث دلالة علي أن هذا الأصل هو المجمع عليه عند أهل السنة، فإن التابعي الجليل **صلة** قد عجب من هؤلاء الذين ينجون من النار بكلمة التوحيد، وما ذاك إلا لما تقرر عندهم أن تارك العمل ليس بمؤمن [264].

-وقد ورد في فتوي اللجنة الدائمة:

قالت: وأما ما جاء في الحديث أن قوماً يدخلون الجنة "***لم يعمل خيراً قط*** " ، فليس هو عاماً لكل من ترك العمل وهو يقدر عليه، وإنما هو خاص بأولئك الذين لهم عذر منعهم من العمل، أو لغير ذلك من المعاني التي تتفق مع النصوص المحكمة وما أجمع عليه السلف في هذا الباب .[265]

---

[263] أ خرجه ابن ماجه (4049) وصححه الألباني.

[264] . وانظر براءة أهل الحديث من بدعة المرجئة (ص/313)

[265] وانظر فتاوى اللجنة الدائمة (2/132) والتحذير من الإرجاء وبعض الكتب الداعية إليه (صـــ13)

ذ

6- الوجه السابع:

من أهل العلم من قال أن هذا الحديث من المتشابه، والذي يتعين رده إلي المحكم، وهذا ما ذهب إليه من المُعاصرين (ابن العثيمين [266] والفوزان وعبدالرحمن البراك .

*** ***ومما قد استدل المخالف***

"*** ***حديث البطاقة***: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ "، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي

---

[266] 8- وقد سُئل فضيلة الشيخ عن الجمع بين قوله -صلي الله عليه وسلم - في أقوام يدخلون الجنة ولم يسجدوا لله سجدة، والأحاديث التي جاءت بكفر تارك الصلاة ؟ ***فأجاب قائلاً*** : يُحمل قوله صلي الله عليه وسلم (إنهم يدخلون الجنة ولم يسجدوا لله سجدة) علي أناس يجهلون وجوب الصلاة، كما لو كان في بلاد بعيدة عن الإسلام أو في بادية لا تسمع عن الصلاة شيئاً، ويُحمل أيضا علي من ماتوا فور إسلامهم دون أن يسجدوا لله سجدة.
وإنما قلنا بذلك لأن هذا الحديث الذي ذكرت من الأحاديث المتشابهة، وأحاديث كفر تارك الصلاة من الأحاديث المُحكمة البيِّنة، والواجب علي المؤمن في الاستدلال بالقرآن أو السنة أن يحمل المتشابه علي المحكم، واتباع المتشابه وإطّراح المُحكم طريقة مَن في قلوبهم زيغٌ والعياذ بالله، كما قال تعالي "هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آياتٌ محكماتٌ هن أم الكتاب وأُخَر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغٌ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله" [الباب المفتوح كتاب الإيمان] (2/154).

ذ

كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»[267]

وجوابه من وجوه:

1) هذا الرجل قد أتي بالكلمة مخلصاً موقناً بها، وحينئذ يُمتنع أن يترك العمل الظاهر كله، ومنه الصلاة، لِما تقرر عند أهل السنة من إثبات التلازم بين الظاهر والباطن.
2) ورد في رواية الحديث عند ابن ماجه: (فيقول: بلي أن لك عندنا حسنات) مما يُشعِر بوجود العمل، لكن لِعظم جنايات الرجل وكثرة سجلاته وضعف عمله لم يظهر أثرُ حسناته.
3) ثم يقال عن الحديث الذي جعلكم تقولون أن الرجل قال كلمة التوحيد بإخلاص ويقين تامين رغم عدم ورود ذلك في نص الحديث: ولكن نصوص الشرع تدل عليهما كشرط للنجاة، فكذا عليكم أن تثبتوا كون الرجل مصلياً لدلالة النصوص القاضية بكفر تاركها، فإنّ تقييد الإتيان بالشهادتين بإخلاص وصدق يمنعه من ترك الصلاة.
4) ***كذلك يقال أن:***
صاحب هذه البطاقة قد اختلف حاله عن كثير من الناس، فإنّ كل مسلم معه هذه البطاقة ،ولكنه لا يُفعل به مثلما يُفعل بصاحب هذا الحديث إذ لو كان هذا الحُكم عاماً للزم ألا يدخل أحد من العصاة النارَ !!! وهذا باطل قطعاً؛ فإن النصوص دلت علي دخول أناس

[267] أخرجه أحمد والترمذي وصححه الألباني .

ذ

من أمة محمد صلي الله عليه وسلم علي النار ثم يخرجون منها بالشفاعة وبرحمة الله تعالي.

وعليه يقال:

كيف تُرد النصوص الصريحة في كفر تارك الصلاة ، وكيف يُرد الإجماع السلفي المصرح بأنه لا يجزئ القول والتصديق إلا بالعمل، لأجل حالة خاصة لا تحدث لكل أحد .

****** وحاصل القول في هذا الحديث:***

أن الرجل قال كلمة التوحيد مخلصاً مستيقناً بها قلبه، وعندها لا يكون مصراً علي ذنبٍ أصلاً ، وإن لم يستجمع شروط التوبة الكاملة، والله أعلم.

**** ومن شبهاتهم علي عدم الكفر بترك العمل الظاهر كليةً:**

الأحاديث التي أفادت فضائل التوحيد، وأن من مات عليه دخل الجنة علي ما كان عليه من عمل.

الجواب: القاعدة (إعمال جميع الأدلة أوجب من إهمال بعضها) فالمُستدِلُّ بمثل هذه الأدلة قد أغفل الأدلة التي أوجبت العمل الظاهر وجعلته شرطاً لصحة الإيمان، فنقول مثلاً قوله صلي الله عليه وسلم: مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ "[268] فهذا الحديث لم يذكر شرط الإخلاص في الكلمة، فإن قال المخالف: بل يُستدل علي وجوبها من الأدلة الأخري، قلنا: كذلك يُستدل

[268] متفق عليه.

علي اشتراط العمل بالظاهر من الأدلة الأخري، وإلا كنت مفرقاً بين الأدلة بلا تفريق.

قال الطيبي :

قالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ قَدْ يُتَّخَذُ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ – أي أحاديث فضائل التوحيد- ذَرِيعَةٌ إِلَى طَرْحِ التَّكَالِيفِ وَإِبْطَالِ الْعَمَلِ ظَنًّا أَنَّ تَرْكَ الشِّرْكِ كَافٍ ، وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ طَيَّ بِسَاطِ الشَّرِيعَةِ وَإِبْطَالَ الْحُدُودِ وَأَنَّ التَّرْغِيبَ فِي الطَّاعَةِ وَالتَّحْذِيرَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ لَا تَأْثِيرَ لَهُ ، بَلْ يَقْتَضِي الِانْخِلَاعَ عَنِ الدِّينِ وَالِانْحِلَالَ عَنْ قَيْدِ الشَّرِيعَةِ وَالْخُرُوجَ عَنِ الضَّبْطِ وَالْوُلُوجَ فِي الْخَبْطِ وَتَرْكِ النَّاسِ سُدًى مُهْمَلِينَ وَذَلِكَ يُفْضِي إِلَى خَرَابِ الدُّنْيَا بَعْدَ أَنْ يُفْضِيَ إِلَى خَرَابِ الْأُخْرَى .
مَعَ أَنَّ قَوْلَ النبي –صلى الله عليه وسلم – " أَنْ يَعْبُدُوهُ " يَتَضَمَّنُ جَمِيعَ أَنْوَاعِ التَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَقَوْلُهُ "وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا " يَشْمَلُ مُسَمَّى الشِّرْكِ الْجَلِيِّ وَالْخَفِيِّ فَلَا رَاحَةَ لِلتَّمَسُّكِ بِهِ فِي تَرْكِ الْعَمَلِ ؛ لِأَنَّ الْأَحَادِيثَ إِذَا ثَبَتَتْ وَجَبَ ضَمُّ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ فَإِنَّهَا فِي حُكْمِ الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ فَيُحْمَلُ مُطْلَقُهَا عَلَى مُقَيَّدِهَا لِيَحْصُلَ الْعَمَلُ بِجَمِيعِ مَا فِي مَضْمُونِهَا، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ [269].

****** من شبهاتهم العقلية في مذهبهم بإخراج عمل الجوارح من الإيمان:***

قالوا: أن إجماع السلف علي أن الإيمان قول وعمل هو بيان للإيمان المطلق، فهذا الذي يشمل القول والعمل، وأما مُطلق الإيمان أي القدر الذي لا بد منه لصحة الإيمان فلا

[269] شرح ابن حجر لصحيح البخاري(11/270)

يدخل فيه العمل، بل هو التصديق وعمل القلب واللسان، ***ودليل ذلك أن***: السلف قالوا مقولتهم هذه في معرض الرد علي المرجئة القائلين أن تارك العمل مؤمن كامل الإيمان، فبيَّن السلف أن العمل لا بد منه في الإيمان الكامل ! !

والجواب أن يُقال:

أن السلف ما اكتفوا بقولهم في الإيمان أنه قول وعمل حتي يُحمل قولهم علي الإيمان الكامل أو الأصل، بل قالوا: لا يُجزئ القول دون العمل، وقالوا: إذا كان قولاً بلا عمل فهو كفر، كما نقله شيخ الإسلام عن سهل التُستري ولم ينكره [270] .

قال شيخ الإسلام: وأيضا فإن حقيقة الدين هو الطاعة والانقياد ،وذلك إنما يتم بالفعل لا بالقول فقط ، فمن لم يفعل لله شيئا فما دان لله دينا ومن لا دين له فهو كافر.[271]

---

[270] وقد قال بنحو كلام سهل الأئمة مثل الآجري في الشريعة (2/614) وابن بطة في الإبانة (2/795) وحكي ابن بطة الإجماع علي ذلك، كذلك نقل الشافعي إجماع الصحابة والتابعين علي أنه لا يُجزئ القول والاعتقاد من دون العمل، كذلك قال الآجري (باب القول بأن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح لا يكون مؤمنا إلا أن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث. قال محمد بن الحسن: (اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب علي جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزئ معرفة بالقلب ونطق باللسان حتي يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الثلاث خصال كان مؤمناً دلّ علي ذلك القرآن، والسنة، وقول علماء المسلمين) ا.هـ. وانظر مجموع الفتاوي(7/171/209)وشرح أصول اعتقاد أهل السنة (رقم/1593) الشريعة (1/227).

[271] شرح عمدة الفقه (1/86)

ذ

كما أنه يلزم من قولهم أن مُطلق الإيمان مداره علي التصديق وعمل القلب واللسان وليس عمل الجوارح، وأن عمل الجوارح يكون ثمرة للإيمان وليس لازماً له، وهذا قول المرجئة .

ومن شبهاتهم من يقول بعدم الكفر بترك العمل الظاهر بالكلية:

قد استدلوا علي ذلك بقول شيخ الإسلام: (والتحقيق أن إيمان القلب التام يستلزم العمل الظاهر بحسبه لا محالة، ويمتنع أن يقوم بالقلب إيمان تام بدون عمل ظاهر) [272].

- وهذا غير مراد شيخ الإسلام – رحمه الله – فهو يعني بقوله "إيمان تام" أي إيمان صحيح، وهو الذي يتوافق مع قوله – رحمه الله – "وأن إيمان القلب بدون شيء من الأعمال الظاهرة ممتنع".
- ويتوافق أيضا مع قوله – رحمه الله - : وبهذا تعرف أن من آمن قلبه إيماناً جازماً امتنع ألا يتكلم بالشهادتين مع القدرة، فعدم الشهادتين مع القدرة مستلزم انتفاء الإيمان القلبي التام .

[272] 1- وهذا مما استدل به الشيخ علي الحلبي علي مسألة عدم الكفر بترك جنس العمل كليةً فقال في الحاشية علي قول شيخ الإسلام: (ويمتنع أن يقوم بالقلب إيمان تام) ومن تأمل هذا القيد حلت له إشكالات كثيرة: ويعني بالقيد قوله (تام) ويكون المعني عند الحلبي أنه يمكن أن يكون في القلب إيمان بدون العمل الظاهر ولكنه إيمان ناقص، أما من أراد الإيمان التام فلا بد من العمل الظاهر.

ذ

فماذا يُقال فيمن امتنع أن يتكلم بالشهادتين مع القدرة ؟

هل يقال : قد انتفي عنه كمال الإيمان وبقي معه أصله ؟
فإن قال المخالف: نعم، فقد قال قولاً عظيماً، وإن قال: لا، فقد أقر علي نفسه بالغلط في فهم كلام شيخ الإسلام.

وشيء آخر، وهو أن يقال: ما رأي المخالف في قول شيخ الإسلام: (فإنه يمتنع أن يكون إيمان تام في القلب بلا قول ولا عمل ظاهر) فهل هذا يعني أنه يمكن أن يكون الإيمان في القلب بلا قول ظاهر – أي بدون الشهادتين – والذي يمتنع إنما هو تمام الإيمان ؟ أم ماذا ؟

** وذكر المخالف لقول شيخ الإسلام عن الإيمان: (وأصله القلب وكماله العمل الظاهر...) وهو يظن أن شيخ الإسلام يعني بالكمال: (الكمال الواجب والمستحب) وهذا غلطٌ منه في فهم كلام ابن تيمية رحمه الله، فإن سياق الكلام يدل علي أن أصل الإيمان الذي في القلب لا يتم (أي لا يصح) إلا بالعمل الظاهر، حيث قال -رحمه الله - بعدها (...بخلاف الإسلام فإن أصله الظاهر وكماله القلب).

- ***فهل يقول قائل***: أنه يكفي في الإسلام أصله الظاهر دون كماله الذي في القلب ؟ فعلي هذا الوجه يُفهم كلام الأئمة بضم بعضه إلي بعض حتي يفسر بعضه بعضاً لا أن يأخذ الناقل ما يوافق هواه ويدع ما يخالفه .[273]

---

[273] وانظر رفع اللائمة عن فتوي اللجنة الدائمة صـــ14،

ذ

***** كذلك فمن شبهاتهم:***

قالوا: أن السلف قد ميَّزوا بين شُعب الإيمان فجعلوا منها ما هو أصل ومنها ما هو فرع، وليس الفرع كالأصل، فالفرع هنا هو عمل الجوارح، فإذا قيل أن عمل الجوارح من أصل الإيمان كان تفريقهم عبثاً [274].

والجواب أن يقال:

_ أن النزاع ليس في أن الإيمان له أصل وفرع، ولكن النزاع في أن ما سُمي فرعاً يجوز تخلفه ويصح الأصل بدونه، فالصحيح أنه وإن كان فرعاً إلا أنه فرع لازم لا يُتصور وجود الباطن بدونه، ولم يرد في كلام أهل السنة أن ترك الفرع بالكلية ليس كفراً، وفي هذا يقول شيخ الإسلام: (وجود الفروع الصحيحة مستلزم لوجود الأصول).

ثم يقال: (أن الصلاة من أعمال الجوارح المسماة (الفروع) وقد انعقد إجماع الصحابة علي أن تركها كفر، فدل ذلك علي أن التسمية بالأصل والفرع لا يؤخذ منه أن الكفر محصور في ترك الأصل فقط.

[274] وقد ضرب أحدهم مثل ذلك بالجسد إذا قُطعت منه اليد مثلاً جاز بقاء الجسد حياً، رغم كون اليد جزءاً منه لا ينفك عنه، لكنها فرع عليه بخلاف قطع الرأس مثلاً فهي الأصل الذي لا يحيا البدن من غيره.

*** تارك الصلاة وأحكامه :

نقول أولاً : ترك الصلاة على أقسام :

1- تركها جحوداً فهذا لا خلاف في كفره :

وهذا يكون كافراً ولو صلى ،فلا خلاف بين المسلمين في كفر من ترك الصلاة منكراً لوجوبها ، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام أو لم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة [275] . وممن نقل الإجماع على كفره إذا كان قد تركها جحوداً شيخ الإسلام ابن تيمية والخطابي والنووي .

2 - ترك الصلاة نسياناً :

فهذا لا يكفر بذلك بإجماع العلماء ، قد نقله الخطابي والنووي .[276]

3- ترك الصلاة استكباراً وحسداً فهذا كافر بالاتفاق : أنْ لَا يَجْحَدَ وُجُوبَهَا لَكِنَّهُ مُمْتَنِعٌ مِنْ الْتِزَامِ فِعْلِهَا كِبْرًا أَوْ حَسَدًا أَوْ بُغْضًا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَهَذَا أَيْضًا كَافِرٌ بِالِاتِّفَاقِ؛ فَإِنَّ إبْلِيسَ لَمَّا تَرَكَ السُّجُودَ الْمَأْمُورَ بِهِ لَمْ يَكُنْ جَاحِدًا لِلْإِيجَابِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَاشَرَهُ بِالْخِطَابِ وَإِنَّمَا أَبَى وَاسْتَكْبَرَ . وَكَذَلِكَ أَبُو طَالِبٍ كَانَ مُصَدِّقًا لِلرَّسُولِ-صل الله عليه وسلم- فِيمَا بَلَّغَهُ لَكِنَّهُ تَرَكَ اتِّبَاعَهُ حَمِيَّةً لِدِينِهِ وَخَوْفًا مِنْ عَارِ الِانْقِيَادِ وَاسْتِكْبَارًا عَنْ أَنْ تَعْلُوَ أَسْتُهُ رَأْسَهُ ، فَهَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُتَفَطَّنَ لَهُ ، وَمَنْ أَطْلَقَ مِنْ الْفُقَهَاءِ أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ إلَّا مَنْ يَجْحَدُ وُجُوبَهَا فَيَكُونُ الْجَحْدُ عِنْدَهُ مُتَنَاوِلًا لِلتَّكْذِيبِ بِالْإِيجَابِ وَمُتَنَاوِلًا لِلِامْتِنَاعِ عَنْ الْإِقْرَارِ وَالِالْتِزَامِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} وَقَالَ تَعَالَى:

---

[275] نيل الأوطار (1 / 369)

[276] وانظر مجموع الفتاوى(22/40) ونواقض الإيمان العملية (ص/452)

ذ

{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} وَإِلَّا فَمَتَى لَمْ يُقِرَّ وَيَلْتَزِمْ فِعْلَهَا قُتِلَ وَكَفَرَ بِالِاتِّفَاقِ مِنْ الْكَافِرِينَ. [277]

4- من ترك الصلاة وأصر على تركها حتى يُقتل : فهذا كافر بالإتفاق ؛ فإن اصراره على الترك حتى القتل دلالة على أنه في الباطن ليس مقراً بوجوبها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

وَلَا يُتَصَوَّرُ فِي الْعَادَةِ أَنَّ رَجُلًا يَكُونُ مُؤْمِنًا بِقَلْبِهِ مُقِرًّا بِأَنَّ اللَّهَ أَوْجَبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ مُلْتَزِمًا لِشَرِيعَةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَمَا جَاءَ بِهِ يَأْمُرُهُ وَلِيُّ الْأَمْرِ بِالصَّلَاةِ فَيَمْتَنِعُ حَتَّى يُقْتَلَ ، وَيَكُونُ مَعَ ذَلِكَ مُؤْمِنًا فِي الْبَاطِنِ قَطُّ ، لَا يَكُونُ إلَّا كَافِرًا وَلَوْ قَالَ أَنَا مُقِرٌّ بِوُجُوبِهَا غَيْرَ أَنِّي لَا أَفْعَلُهَا كَانَ هَذَا الْقَوْلُ مَعَ هَذِهِ الْحَالِ كَذِبًا مِنْهُ. فَهَذَا الْمَوْضِعُ يَنْبَغِي تَدَبُّرُهُ فَمَنْ عَرَفَ ارْتِبَاطَ الظَّاهِرِ بِالْبَاطِنِ زَالَتْ عَنْهُ الشُّبْهَةُ فِي هَذَا الْبَابِ ، وَعَلِمَ أَنَّ مَنْ قَالَ مِنْ الْفُقَهَاءِ أَنَّهُ إذَا أَقَرَّ بِالْوُجُوبِ وَامْتَنَعَ عَنْ الْفِعْلِ لَا يُقْتَلُ أَوْ يُقْتَلُ مَعَ إسْلَامِهِ؛ فَإِنَّهُ دَخَلَتْ عَلَيْهِ الشُّبْهَةُ الَّتِي دَخَلَتْ عَلَى الْمُرْجِئَةِ وَالْجَهْمِيَّة وَالَّتِي دَخَلَتْ عَلَى مَنْ جَعَلَ الْإِرَادَةَ الْجَازِمَةَ مَعَ الْقُدْرَةِ التَّامَّةِ لَا يَكُونُ بِهَا شَيْءٌ مِنْ الْفِعْلِ وَلِهَذَا كَانَ الْمُمْتَنِعُونَ مِنْ قَتْلِ هَذَا مِنْ الْفُقَهَاءِ بَنَوْهُ عَلَى قَوْلِهِمْ فِي " مَسْأَلَةِ الْإِيمَانِ " وَأَنَّ الْأَعْمَالَ لَيْسَتْ مِنْ الْإِيمَانِ **ا.هـ [278]**

قال ابن القيم :

ومن العجب أن يقع الشك في كفر من أصر على تركها, ودعى إلى فعلها على رؤوس الملأ وهو يرى بارقة السيف على رأسه ويشد للقتل وعصبت عيناه وقيل له تصلي وإلا

[277] وانظر مجموع الفتاوى (20/98)

[278] وانظر مجموع الفتاوى (7/616)

ذ

قتلناك فيقول اقتلوني ولا أصلي أبدا! ومن لا يكفر تارك الصلاة يقول هذا مؤمن مسلم يغسل يصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين, وبعضهم يقول إنه مؤمن كامل الإيمان إيمانه كإيمانه جبريل وميكائيل فلا يستحي من هذا قوله من إنكاره تكفير من شهد بكفره الكتاب والسنة واتفاق الصحابة والله الموفق.[279]

5- ترك الصلاة مع الاعتراف بوجوبها : وهذاعلى قسمين : أ) ***ترك جزئي*** :

كالذي يصلي ويقطع ، فلا يواظب على الاستمرارية في فعلها : فهذا – والله أعلم – لا يكفر بذلك ؛قال تعالى ((فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا)**(مريم/59)** فالمراد هنا بتضييع الصلاة أنما هو تركها بالكلية ، كما نص عليه محمد بن كعب القرظي وزيد بن أسلم والسدي والطبري .

** ***لما ورد في حديث رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :*** " إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ .[280]

***** فقوله "فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ*** " يدل على أنه لا يكفر إذا ترك بعضها ، وإن كان متوعداً على التهاون في ذلك .كذلك فإن الترك إذا اطلق فإنه يُحمل على الترك الكلي . ***قال شيخ الإسلام*** :

[279] وانظلر الصلاة وحكم تاركها (ص/47)

[280] أخرجه الترمذي وصححه الألباني .

فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ؛ بَلْ أَكْثَرُهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنْ الْأَمْصَارِ لَا يَكُونُونَ مُحَافِظِينَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَلَا هُمْ تَارِكُوهَا بِالْجُمْلَةِ بَلْ يُصَلُّونَ أَحْيَانًا وَيَدَعُونَ أَحْيَانًا فَهَؤُلَاءِ فِيهِمْ إيمَانٌ وَنِفَاقٌ وَتَجْرِي عَلَيْهِمْ أَحْكَامُ الْإِسْلَامِ الظَّاهِرَةُ فِي الْمَوَارِيثِ وَنَحْوِهَا مِنْ الْأَحْكَامِ [281]

2) ***ترك كلي*** :

فهذا الذي وقع الخلاف بين العلماء في حكمه :

القول الأ ول : أن يكفر بذلك كفراً يخرجه من الملة ،وقال به جمهور الصحابة وأصحاب الحديث ، كما نص عليه المروزي وابن حزم [282] ، وأدلة ذلك : 1- قال تعالى (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) **(التوبة /11)**

وبهذا علم أن ترك الصلاة كفر مخرج عن الملة, إذ لو كان فسقاً أو كفراً دون كفر، ما انتفت الأخوة الدينية به , كما لم تنتف بقتل المؤمن وقتاله.[283]

ومفهوم الآية: أنهم إن لم يقيموا الصلاة لم يكونوا أخوة للمؤمنين، ومن انتفت عنهم أخوة المؤمنين فهم من الكافرين ؛ لأن الله يقول: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...}

2- قال تعالى (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَخَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ)**(سورة القلم /35)**

يقول ابن القيم:

أخبرسبحانه أنه لا يجعل المسلمين كالمجرمين، وأن هذا الأمر لا يليق بحكمته ولا بحكمه ، ثم ذكر أحوال المجرمين

---

[281] مجموع الفتوى (7/617)

[282] وانظر تعظيم قدر الصلاة (2/363)

[283] حكم تارك الصلاة العثيمين(ص/7)

ذ

الذين هم ضد المسلمين فقال يوم يكشف عن ساق ، وأنهم يدعون إلى السجود لربهم تبارك وتعالى فيحال بينهم وبينه، فلا يستطيعون السجود مع المسلمين عقوبة لهم على ترك السجود له مع المصلين في دار الدنيا، وهذا يدل على أنهم مع الكفار والمنافقين الذين تبقى ظهورهم إذا سجد المسلمون كصياصي "أي قرون" البقر ، ولو كانوا من المسلمين لأذن لهم بالسجود كما أذن للمسلمين ا.هـ [284]

3) قال َاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : { مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } **[الروم: 31]**

فجَعَلَ اللَّهُ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُشْرِكًا خَارِجًا مِنَ الْإِيمَانِ ؛ لِأَنَّ هَذَا الْخطَّابَ لِلْمُؤْمِنِينَ تَحْذِيرٌ لَهُمْ أَنْ يَتْرُكُوا الصَّلَاةَ , فَيَخْرُجُوا مِنَ الْإِيمَانِ , وَيَكُونُوا كَالْمُشْرِكِينَ .

*

* * ***دلالة السنة على كفر تارك الصلاة :***

1- ***عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ": «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ»"ـ [285] .*** ***والمعنى***: إن الذي يمنع من كفره كونه لم يترك الصلاة ، فإذا تركها لم يبق بينه وبين الشرك حائل بل دخل فيه " والبَيْنيَّةُ تقتضي التَّمييز بين الشيئين، فهذا في حَدٍّ، وهذا في حَدٍّ.[286] وَالْحَقُّ أَنَّهُ كَافِرٌ يُقْتَلُ، أَمَّا كُفْرُهُ فَلِأَنَّ الْأَحَادِيثَ قَدْ صَحَّتْ أَنَّ الشَّارِعَ سَمَّى تَارِكَ الصَّلَاةِ بِذَلِكَ الِاسْمِ وَجَعَلَ الْحَائِلَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ جَوَازِ إطْلَاقِ هَذَا الِاسْمِ عَلَيْهِ هُوَ الصَّلَاةُ، فَتَرْكُهَا

---

[284] **الصلاة وحكم تاركها(ص/45)**
[285] **أخرجه مسلم**
[286] الشرح الممتع(2/32)

ذ

مُقْتَضٍ لِجَوَازِ الْإِطْلَاقِ[287]

***** وعن جابر أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : بين الكفر والإيمان ترك الصلاة.[288]**

فنص على أن المراد بالكفر الواقع بترك الصلاة إنما هو الكفر الناقض للإيمان .كما أنه ذكر كلمة الكفر معرفة بـ " الـ" العهدية ، وهذه لا تفيد لا الشرك الأكبر .

قال ابن العثيمين :

وقوله في الحديث: «الكفر»، أتَى بأل الدالة على الحقيقة، وأنَّ هذا كفرٌ حقيقي وليس كفراً دون كُفر، وقد نَبَّه على هذا شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم» ، فلم يقل صلّى الله عليه وسلّم: «كفر»، كما قال: «اثْنَتَان في النَّاس هُمَا بهم كُفْرٌ: الطَّعن في النَّسب، والنِّياحة على الميِّت»، وإنما قال: «بين الرَّجُل والشِّرك والكفر»، يريد بذلك الكفر المطلق وهو المُخْرج عن المِلَّة.[289]

*وعن بريدة بن الحصيب الأسلمي قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر" ***[290]***

قال الحافظ العراقي :

الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ وَبَيْنَهُمْ يَعُودُ عَلَى الْكُفَّارِ أَوْ الْمُنَافِقِينَ، و مَعْنَاهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَالْكَافِرِينَ، وَالْمُنَافِقِينَ تَرْكُ الصَّلَاةِ. فَالْمُرَادُ أَنَّهُمْ مَا دَامُوا يُصَلُّونَ فَالْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ حَقْنِ الدَّمِ بَاق ا.هـ [291]

قَالَ البيهقي :

---

[287] وانظر نيل الأوطار (1/362)

[288] أخرجه الترمذي وصححه الألباني .

[289] الشرح الممتع(2/32)

[290] رواه أحمد وأهل السنن ، وقال الترمذي حديث صحيح إسناده على شرط مسلم ، وصححه الألباني .

[291] طرح التثريب(2/145)

ذ

وَلَيْسَ مِنَ الْعِبَادَاتِ بَعْدَ الْإِيمَانِ الرَّافِعِ لِلْكُفْرِ عِبَادَةٌ سَمَّاهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِيمَانًا، وَسَمَّى رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تَرْكَهَا كُفْرًا إِلَّا الصَّلَاةُ .[292]

2 - ***عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ.*** [293] فقد أمر النبي -صلى الله عليه وسلم -بالكف عن قتال هؤلاء الأئمة ما صلَّوا ، فعلم أنهم لو تركوا الصلاة لقوتلوا ، والإمام لا يجوز قتاله حتى يكفر ، وإلا فبمجرد الفسق لا يجوز قتاله ولو جاز قتاله بذلك لقوتل على تفويتها كما يقاتل على تركها ، وهذا دليل مستقل في المسألة .

3- ***عن أبي هريرة – رضي الله عنه- أن النبي – صلى الله عليه وسلم - حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ اللَّهُ المَلاَئِكَةَ: أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ.***[294]

وفي هذا إشعار بكفر تارك الصلاة ؛ لأنه لا يُعرف في العرصات فيدعى إلى مورد المؤمنين ، ولا يُعرف فى النار فيُخرج مع عصاة الموحدين .[295]

* عن معاذ بن جبل – رضي الله عنه- مرفوعاً :ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ رأس الأمر الإسلام من أسلم سلم وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد.[296]

قال أحمد :

---

[292] وانظر شعب الإيمان (4/288)

[293] أخرجه مسلم .

[294] أخرجه البخاري .

[295] الوعد الأخروي شروطه وموانعه (ص/421)

[296] أخرجه أحمد والترمذي وصححه الألباني .

ألست تعلم أن الفسطاط إذا سقط عموده سقط الفسطاط ولم ينتفع بالطنب ولا بالأوتاد وإذا قام عمود الفسطاط انتفعت بالطنب والأوتاد وكذلك الصلاة من الإسلام. [297]

وعن بسر بن محجن عن أبيه أنه كان في مجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن بالصلاة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ورجع ومحجن في مجلسه فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ما منعك أن تصلي مع الناس؟ ألست برجل مسلم؟» فقال: بلى يا رسول الله ولكني كنت قد صليت في أهلي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا جئت المسجد وكنت قد صليت فأقيمت الصلاة فصل مع الناس وإن كنت قد صليت» . [298]

* **فقوله- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – " مَا مَنَعَكَ أَنْ تُصَلِّيَ مَعَ النَّاسِ أَلَسْتَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ "** فِيه دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ لَا يُصَلِّي لَيْسَ بِمُسْلِمٍ وَإِنْ كَانَ مُوَحِّدًا وَهَذَا مَوْضِعُ اخْتِلَافٍ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَتَقْرِيرُ هَذَا الْخِطَابِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ أَحَدًا لَا يَكُونُ مُسْلِمًا إِلَّا أَنْ يُصَلِّيَ فَمَنْ لَمْ يُصَلِّ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ . [299]

** ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ {أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِفُ أُمَّتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ} فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ غُرًّا مُحَجَّلًا لَمْ يَعْرِفْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا يَكُونُ مِنْ أُمَّتِهِ. [300] ***

الإجماع على كفر تارك الصلاة :

2- **قال عبد الله عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ الْعُقَيْلِيِّ :**
كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنْ الْأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ . [301]

وهو إجماع صحيح صريح لا مطعن عليه ، احتج به وجزم

[297] الصلاة وأحكام تاركها (ص/ 34)
[298] أخرجه أحمد ومالك ،وصححه الألباني .
[299] التمهيد(4/224)
[300] مجموع الفتاوى (7/612)وانظر نواقض الاسلام العلمية والقولية (ص/ 469)

ذ

بثبوته أئمة أعلام من أهل العلم . وهو مذهب جمهورأهل الحديث.

- 4- قال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - على المنبر (لا إسلام لمن لم يُصل) وكان ذلك بمحضر جمع من الصحابة - رضي الله عنهم - و لا يعلم عن أحد إنكار قوله مع علمهم بقوله .

*** وعن المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِذْ طُعِنَ دَخَلَ عَلَيْهِ هُوَ وَابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - فَلَمَّا أَصْبَحَ مِنْ غَدٍ فَزَّعُوهُ فَقَالُوا: الصَّلَاةَ فَفَزِعَ فَقَالَ: « ***نَعَمْ لَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ*** ، فَصَلَّى وَالْجُرْحُ يَثْعَبُ دَمًا»[302] . -

****** وعن أبي الزبير ، عن جابر وسأله : هل كنتم تعدون الذنب فيكم كفراً ؟ قال : « لا ، وما بين العبد والكفر إلا ترك الصلاة »[303]***

- وقول جابر هذا إجماع ، بل هو أقوى من الإجماع ؛ لأنه لما نسب كلامه إلى عهد النبوة ، فإن هذا مما له حكم الرفع ،كما هو مقرر عند أهل الاصطلاح ؛ لأنه نسبه لعهد الرسول صلى الله عليه وسلم . * وقال ابن مسعود – **رضي الله عنه-** قال "من ترك الصلاة فلا دين له "[304]

6- **قال أبو الدرداء - رضى الله عنه - (لا إيمان لمن لا صلاة له)[305]**

- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه سئل

---

[301] أخرجه الترمذي وصححه الألباني .وقد ذكر الذهبي أن عبد لله بن شقيق قد روى عن عمر وأبي ذر والكبار .

[302] أخرجه المروزي في " تعظيم قدر الصلاة " وابن أبي شيبة في «الإيمان» رقم (103)، وعبد الرزاق في «مصنفه» رقم (579) وأسناده صحيح .

[303] : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة(1537)

[304] أخرجه ابن نصر بإسناد جيد

[305] أخرجه المروزي في " تعظيم قدر الصلاة " وسنده حسن.وانظر صحيح فقه السنة(1/231)

: ما كان يفرق بين الكفر والإيمان عندكم من الأعمال في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : « الصلاة »[306] .

- وهذه الأثارعن الصحابة – رضي الله عنه – مما يتأيد بها حمل الأحاديث في كفر تارك الصلاة على الكفر الأكبر المخرج من الملة ؛ فإن هذه الأثار لهي من أقوى القرائن على ذلك .

* **قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ المروزي** :

سَمِعْتُ إِسْحَاقَ، يَقُولُ: قَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ تَارِكَ الصَّلَاةِ كَافِرٌ، وَكَذَلِكَ كَانَ رَأْيُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ لَدُنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى يَوْمِنَا هَذَا ، أَنَّ تَارِكَ الصَّلَاةِ عَمْدًا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ حَتَّى يَذْهَبَ وَقْتُهَا كَافِرٌ. ا..هـ [307]

**** قال الحسن البصرى -:***

بلغني أن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانوا يقولون : بين العبد وبين أن يشرك فيكفر أن يدع الصلاة من غير عذر .[308]

قال محمد بن الحسين :

هذه السنن والآثار في ترك الصلاة وتضييعها مع ما لم نذكره مما يطول به الكتاب ما يدل على أن الصلاة من الإيمان ، ومن لم يصل فلا إيمان له ولا إسلام ا.هـ [309]

- ***وممن قال بكفر تارك الصلاة من الصحابة*** : عمر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبو هريرة وابن مسعود وابن عباس و جابر وأبو الدرداء وعلى بن أبى طالب

---

[306] وأخرج المروزي أيضا (892)وسنده صحيح.

[307] تعظيم قدر الصلاة(990)

[308] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة(1539)وسنده صحيح ،وهو موافق للإجماع الذي نقله عبد الله بن شقيق.

[309] الشريعة للآجري(277)

رضي الله عنهم ، ولا مُخالف لهم من الصحابة .
وفد نسب القول بتكفير تارك الصلاة إلى هؤلاء الصحابة جملة من الأئمة منهم ابن حزم و المنذري و عبد الحق الإشبيلى.
- وإذا كان قول الصحابى إذا اشتهر ولم يُعرف له مخالف كان حجة قاطعة تُبنى عليها الأحكام فكيف وقد قال بهذه المسألة ما يقرب من خمسة عشر صحابياً ، ومن قبله ، ينقل أحد الصحابة القول بهذا عن جميع الصحابة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وينقل ذلك أيضاً تابعيان من الثقات .
وذكر ابن حزم أنه قد جاء عن عمر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة, قال: "ولا نعلم لهؤلاء مخالفاً من الصحابة". نقله عنه المنذري في "الترغيب والترهيب" وزاد من الصحابة: عبد الله بن مسعود, وعبد الله بن عباس, وجابر بن عبد الله, وأبا الدرداء رضي الله عنهم .[310] .
* **وقال ابن القيم** معلقاً على قول عمر بن الخطاب : " لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة " : هذا بمحضر من الصحابة ولم ينكروه عليه فكان إجماعاً .[311]
* كما أن القول بكفر تارك الصلاة كفراً أكبر هو قول أحمد بن حنبل وهو أحد قولي الشافعي كما ذكره إبن كثير في تفسير قوله تعالى: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ} [مريم: 59]
وذكر ابن القيم في "كتاب الصلاة" أنه أحد الوجهين في

[310] **الصلاة وحكم تاركها للعثيمين (ص/7)**
[311] بتصرف يسير من " الصلاة وحكم تاركها" لابن القيم(ص/54) وانظر الوعد الأخروي ، شروطه وموانعه (1/419)

مذهب الشافعي, وأن الطحاوى نقله عن الشافعي نفسه، وهو قول اسحاق وابن المبارك والنخعي .

- وعلى هذا القول جمهور الصحابة, بل حكى غير واحد إجماعهم عليه،كما في " ***الزواجر عن اقتراف الكبائر"*** لابن الحجر الهيتمي .. وعليه فإن الخلاف في حكم تارك الصلاة إنما وقع بعد انقضاء المائة الأولى ، وبالتقريب سنة (131 هـ) وهي سنة وفاة أيوب السختياني **– رحمه الله –** فهو الذي نقل الاتفاق على كفر تارك الصلاة ،فقال : ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه .[312]

*** **وفيما سبق** رد على من زعم أن الصحابة أجمعوا فقط على رواية أحاديث كفر الصلاة ،وليس على كفره !! فهذا خطأ بيِّن ؛لأن المروزي في كتابه "تعظيم قدر الصلاة" قد ذكر إجماعات الصحابة – رضي الله عنهم- على كفر تارك الصلاة . **كذلك** : فإن عبارات الأئمة كابن شقيق وإسحاق وابن تيمية والسختياني دالة أن الصحابة قد أجمعوا على كفر تارك الصلاة ، وليس فقط على رواية أحاديث التكفير .[313]

****** فإن قال قائلٌ : قد خالف بعض الأئمة في تكفير تارك الصلاة !!***

فنقول :

نعم ولا نقبل خلافهم بعد إجماع الصحابة ونعتذر لهم ، إذ العلماء يعتبرون أن قولٍ الصحابي الواحد إذا اشتهر في مسألة ما فهو حجة إذا لم يخالفه أحدٌ من الصحابة ، فكيف في مسألة ينسب أحدُ الصحابة القول فيها لجميع الصحابة في عهد النبي

---

[312] الصلاة لابن القيم (ص/63)

[313] الإ يمان عند السلف وعلاقته بالعمل(1/367)

صلى الله عليه وسلم ؟!!
ثم ينقل أحد التابعين إجماعهم على ذلك ، ونجد أكثر من خمسة عشر صحابياً يقولون بذلك ولا يعلم فيهم مخالف .

فالظاهر أن الأئمة المخالفين لم يبلغهم إجماع الصحابة على كفر تارك الصلاة أو لم يثبت عندهم ، لأنه لو بلغهم الإجماع لما وسعهم أن يخالفوه ، فهذا الإمام الشافعي يقول : ونعلم أن عامتهم [يعني الصحابة رضي الله عنهم]ـ لا تجتمع على خلافٍ لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا على خطأ إن شاء الله [314]. و تكفير تارك الصلاة منقول عن ستة عشر صحابياً ، كما قال ابن حزم .

وأما زعم المخالف أن إجماع الصحابة - رضى الله عنهم - إنما هو الرواية أى رواية الأحاديث فى إكفار تارك الصلاة فقط ، وليس على حكمهم هم بتكفير تارك الصلاة !!

فهذا خطأ ؛ لأنَّ المروزى فى كتابه تعظيم قدر الصلاة بعد أن ذكر اجماعات الصحابة - رضى الله عنهم - قال : ثم اختلف أهل العلم بعد ذلك فى تأويل ما روى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ثم عن الصحابة في إكفار تاركها ، فالمروى عن الصحابة إنما هى أقوالهم فى كفر تارك الصلاة .

ثانياً: عبارات التابعين و الأئمة كالحسن وابن شقيق واسحاق وابن تيمية دالة أن الصحابة مُجمعون على تكفير تارك الصلاة ، لا على مجرد رواية أحاديث التكفير.

فإن قيل : وكيف خُفيت هذه الإجماعات الكثيرة

---

[314] الرسالة(472)

ذ

على من قال بعدم كفر تارك الصلاة؟
فالجواب : إذا ثبت إجماع الصحابة فهو حجة على من بعدهم ، وأقوال العلماء يُحتج لها ولا يُحتج بها ، باب العذر واسع ، فالمخالف ربما لم يبلغه الإجماع أو تأوله بنوع تأويل ، والمسألة لها نظائر ، فمن ذلك :-
1) قد نقل غير واحد إجماع الصحابة على منع بيع أمهات الأولاد، وخالف فى ذلك من خالف .
2) إجماع الصحابة على انتقاض عهد الذمى بسب النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم خالف فى ذلك بعض الفقهاء .
إجماع الصحابة الذى حكاها ابن القيم على أن للمرأة أن تشترط على الرجل ألا يتزوج عليها ولا يتسرى . ، وخالف فى هذا الإجماع بعض الأئمة .
4) ومن ذلك الإجماع على طهارة بول وروث ما يؤكل لحمه ، وقال خالف فى ذلك أبو حنيفة و الشافعى .
5) ومن ذلك إجماع الصحابة على سنية سجود التلاوة ، نقل إجماعهم ابن *قدامة فى المغنى ، فى حين أن أبا حنيفة أوجبه.*
****** الدليل العقلى على كفر تارك الصلاة :***
ولا شك أن الذي لا يصلي ليس في قلبه إيمان ؛ لأن الإيمان مقتضٍ لفعل الطاعة ، وأعظم الطاعات البدنية الصلاة ، فإذا تركها ً فهو دليل أنه ليس في قلبه إيمان ، وإن ادعى أنه مؤمن ، فإن من كان مؤمناً فإنه بمقتضى هذا الإيمان يكون قائماً بهذه الصلاة العظيمة .
قال ابن القيم قال عند ذكر الدليل العاشر من القرآن على كفر تارك الصلاة : على أنا نقول :
لا يصر على ترك الصلاة إصراراً مستمراً من يصدق بأن الله أمر بها أصلا ، فإنه يستحيل في العادة والطبيعة أن يكون الرجل مصدقا تصديقاً جازماً أن الله فرض عليه كل يوم وليلة خمس صلوات وأنه يعاقبه على تركها أشد العقاب ، وهو مع ذلك مصر على تركها ، هذا من المستحيل قطعا ،

ذ

فلا يحافظ على تركها مصدق بفرضها أبدا ، فإن الإيمان يأمر صاحبه بها ، فحيث لم يكن في قلبه ما يأمر بها فليس في قلبه شيء من الايمان ، ولا تصغ الى كلام من ليس له خبرة ولا علم بأحكام القلوب وأعمالها .[315]

******** شبهات من قال بعدم كفر تارك الصلاة :**

- وَأَجْوَدُ مَا اعْتَمَدُوا عَلَيْهِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ { خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ . فَمَنْ حَافَظَ عَلَيْهِنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهِنَّ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ إنْ شَاءَ عَذَّبَهُ ، وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ } [318]. وهذا – كما نص عليه شيخ الإسلام - أَجْوَدُ مَا اعْتَمَدُوا عَلَيْهِ .[319]

قَالُوا : فَقَدْ جَعَلَ غَيْرَ الْمُحَافِظِ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ . وَالْكَافِرُ لَا يَكُونُ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ !!!

فالجواب :

فالذي أدخله الرسول – صلى الله عليه وسلم – وجعله تحت المشيئة إنما هو من لم يحافظ عليها ، وليس الترك

---

[315] الصلاة وحكم تاركها (ص/400)

[316] .

[317]

[318] أخرجه أحمد وأبوداود وصحه الألباني .

[319] وممن استدل به على ذلك : ابن عبد البر والطحاوي .وانظر مشكل الأثار (8/202)

ذ

لها ،ونفي المحافظة يقتضي فعلها أحياناً ،فيُحمل هذا الحديث على من يؤخرها عن وقتها ، وهو ينوي قضاءها ، ويعزم على ذلك . وكذلك يُحمل على من يخل ببعض فرائضها ببعض الأوقات وشبه ذلك ، فأما من لا يصلي قط في طول عمره ولا يعزم على الصلاة ، ومات على غير توبة أو خُتم له بذلك فهذا كافر قطعاً ، وكذلك **قوله "** ***من لم يحافظ عليها "*** فإنه يُفهم منه فعلها مع الإخلال بالمحافظة ، ومثل ذلك ما روى أبو هريرة -رضي الله عنه- قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم - يقول:
" إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة المكتوبة ، فإن أتمها وإلا قيل انظروا هل من تطوع فأكملت الفريضة من تطوعه ، ثم يفعل بسائرالأعمال المفروضة مثل ذلك" ، وأيضا فإن الإيمان عند أهل السنة والجماعة قول وعمل ، كما دل عليه الكتاب والسنة ، وأجمع عليه السلف ، فالقول تصديق الرسول والعمل تصديق القول ، فإذا خلا العبد عن العمل بالكلية لم يكن مؤمنا والقول الذي يصير به مؤمن قول مخصوص وهو الشهادتان فكذلك العمل هو الصلاة .

.

. .

قد قال شيخ الإسلام :
وَلَا دَلَالَةَ فِي هَذَا ، فَإِنَّ الْوَعْدَ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا ، وَالْمُحَافَظَةُ فِعْلُهَا فِي أَوْقَاتِهَا كَمَا أَمَرَ كَمَا قَالَ تَعَالَى : { حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى{ وعَدَم الْمُحَافَظَةِ يَكُونُ مَعَ فِعْلِهَا بَعْدَ الْوَقْتِ ، كَمَا أَخَّرَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَلَاةَ الْعَصْرِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الْأَمْرِ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا ، وَثَبَتَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : { سَيَكُونُ أُمَرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا فَصَلُّوا الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا ثُمَّ اجْعَلُوا صَلَاتَكُمْ مَعَهُمْ نَافِلَةً } فَنَهَى عَنْ قِتَالِهِمْ إذَا صَلَّوْا ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُمْ إذَا لَمْ يُصَلُّوا قُوتِلُوا ، وَبَيَّنَ أَنَّهُمْ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا وَذَلِكَ تَرْكُ الْمُحَافَظَةِ

عَلَيْهَا لَا تَرْكُهَا ، فَالنَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إنَّمَا أَدْخَلَ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ مَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَا مَنْ تَرَكَ ، وَنَفْسُ الْمُحَافَظَةِ يَقْتَضِي أَنَّهُمْ صَلَّوْا وَلَمْ يُحَافِظُوا عَلَيْهَا ، وَلَا يَتَنَاوَلُ مَنْ لَمْ يُحَافِظْ ؛ فَإِنَّهُ لَوْ تَنَاوَلَ ذَلِكَ قُتِلُوا كُفَّارًا مُرْتَدِّينَ بِلَا رَيْبٍ ا.هـ [320]

قال – رحمه الله -:

فَأَمَّا مَنْ كَانَ مُصِرًّا عَلَى تَرْكِهَا لَا يُصَلِّي قَطُّ ، وَيَمُوتُ عَلَى هَذَا الْإِصْرَارِوَالتَّرْكِ فَهَذَا لَا يَكُونُ مُسْلِمًا [321] ، لَكِنَّ أَكْثَرَ

---

[320] مجموع الفتاوى(7/615)

[321] وبهذ يتبين لنا قول شيخ الإسلام في حكم تارك الصلاة ،وأنه يكفره بمجرد الترك والتولى عن أداها ، فقد قال– رحمه الله - :وَأَمَّا الَّذِينَ لَمْ يَكْفُرُوا بِتَرْكِ الصَّلَاةِ وَنَحْوِهَا؛ فَلَيْسَتْ لَهُمْ حُجَّةٌ إلَّا وَهِيَ مُتَنَاوِلَةٌ لِلْجَاحِدِ كَتَنَاوُلِهَا لِلتَّارِكِ فَمَا كَانَ جَوَابُهُمْ عَنْ الْجَاحِدِ كَانَ جَوَابًا لَهُمْ عَنْ التَّارِكِ؛ مَعَ أَنَّ النُّصُوصَ عَلَّقَتْ الْكُفْرَ بِالتَّوَلِّي كَمَا تَقَدَّمَ (مجموع الفتاوى(7/613) فبين أن النصوص قد علقت كفر تارك الصلاة على التولى ، وفي هذا رد على من نسب إلى شيخ الإسلام أنه قصر الحكم بالكفر على تارك الصلاة إذا عُرض على السيف فأصر على الترك .كيف وقد عد شيخ الإسلام أن هذا الأمر فرضاً باطلاً ، فقال : وَأَمَّا مَنْ اعْتَقَدَ وُجُوبَهَا مَعَ إصْرَارِهِ عَلَى تَرْكٍ: فَقَدْ ذَكَرَ عَلَيْهِ الْمُفَرِّعُونَ مِنْ الْفُقَهَاءِ فُرُوعًا: أَحَدُهَا هَذَا، فَقِيلَ عِنْدَ جُمْهُورِهِمْ: مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَد. وَإِذَا صَبَرَ حَتَّى يُقْتَلَ فَهَلْ يُقْتَلُ كَافِرًا مُرْتَدًّا، أَوْ فَاسِقًا كَفُسَّاقِ الْمُسْلِمِينَ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ مَشْهُورِينَ. حُكِيَا رِوَايَتَيْنِ عَنْ أَحْمَد، وَهَذِهِ الْفُرُوعُ لَمْ تُنْقَلْ عَنْ الصَّحَابَةِ، وَهِيَ فُرُوعٌ فَاسِدَةٌ، فَإِنْ كَانَ مُقِرًّا بِالصَّلَاةِ فِي الْبَاطِنِ، مُعْتَقِدًا لِوُجُوبِهَا، يَمْتَنِعُ أَنْ يُصِرَّ عَلَى تَرْكِهَا حَتَّى يُقْتَلَ، وَهُوَ لَا يُصَلِّي هَذَا لَا يُعْرَفُ مِنْ بَنِي آدَمَ وَعَادَتِهِمْ؛ وَلِهَذَا لَمْ يَقَعْ هَذَا قَطُّ فِي الْإِسْلَامِ، وَلَا يُعْرَفُ أَنَّ أَحَدًا يَعْتَقِدُ وُجُوبَهَا، وَيُقَالُ لَا إنْ لَمْ تُصَلِّ وَإِلَّا قَتَلْنَاك، وَهُوَ يُصِرُّ عَلَى تَرْكِهَا، مَعَ إقْرَارِهِ بِالْوُجُوبِ، فَهَذَا لَمْ يَقَعْ قَطُّ في الْإِسْلَامِ. وَمَتَى امْتَنَعَ الرَّجُلُ مِنْ الصَّلَاةِ حَتَّى يُقْتَلَ لَمْ يَكُنْ فِي الْبَاطِنِ مُقِرًّا بِوُجُوبِهَا، وَلَا مُلْتَزِمًا بِفِعْلِهَا، وَهَذَا كَافِرٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، كَمَا اسْتَفَاضَتْ الْآثَارُ عَنْ الصَّحَابَةِ بِكُفْرِ هَذَا، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ النُّصُوصُ الصَّحِيحَةُ.(مجموع الفتاوى/22/48) ولذا فلا يصح أن يقال أنه حمل أقوال الصحابة على هذه الصورة ،كيف وهو ينص أنها لم تُنقل عن الصحابة ،وأنها فروع فاسدة ،لذا يقال :فلو كان الأمر كما ادعاه المخالف من أن كفر تارك الصلاة يكون فقط إذا عرض على السيف ، وليس بمجرد الترك ،لكان هذا هو عين التناقض في كلام شيخ الإسلام ،إذ أنه نفى نقل هذه الفروع عن الصحابة ،فإذا تم توجيه كلام ابن شقيق عن الصحابة – رضي الله عنهم- على هذه الفروع لكان هذا هو عين التناقض .انظر براءة أهل الحديث من بدعة المرجئة /ص/108)

ذ

النَّاسِ يُصَلُّونَ تَارَةً ، وَيَتْرُكُونَهَا تَارَةً ، فَهَؤُلَاءِ لَيْسُوا يُحَافِظُونَ عَلَيْهَا ، وَهَؤُلَاءِ تَحْتَ الْوَعِيدِ ، وَهُمْ الَّذِينَ جَاءَ فِيهِمْ الْحَدِيثُ الَّذِي فِي السُّنَنِ حَدِيثُ عبادة عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : { خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مَنْ حَافَظَ عَلَيْهِنَّ كَانَ لَهُ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهِنَّ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ ، إنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ . }[322]

***** وعليه فإننا نفرق بين أمرين** :

الترك المطلق ، وهو الترك الكلي فهذا الذي دلت النصوص على كفره الكفر الأكبر ، ومطلق الترك : فهذا الذي يدخل تحت المشيئة ، وهذا الذي جاء الوعيد عليه ، كما في قوله تعالى (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا)[323] ، وقوله تعالى (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5)) [324] ، فمطلق الترك هو ذنب موجب للوعيد .[325]

****** قالوا : تحمل أحاديث كفر ترك الصلاة على الكفر الأصغر؟؟؟*** **والجواب** :

قال شيخ الاسلام :

وأما حمله على كفر دون كفر فهذا حمل صحيح ومحمل مستقيم في الجملة في مثل هذا الكلام ؛ ولهذا جاء عن

---

[322] المصدر السابق(22/49)

[323] وقد روى ابن كثير في تفسير هذه الآية أن عمر بن عبد العزيز قرأها ثم قال: لم تكن إضاعتهم تركها، ولكن أضاعوا الوقت.ا.هـ وقال عنها شيخ لإسلام : مَعَ أَنَّ إضَاعَتَهَا تَأْخِيرُهَا عَنْ وَقْتِهَا ، فَكَيْفَ بِتَارِكِهَا ؟ مجموع الفتاوى (34/217)

[324] عن مصعب بن سعد -رضي الله عنهـ قال : قلت لابي يا أبتاه أرأيت قوله تبارك وتعالى(الذين هم عن صلاتهم ساهون) أينا لا يسهو أينا لا يحدث **نفسه** ، قال ليس ذاك إنما هو إضاعة الوقت يلهو حتى يضيع الوقت)رواه أبو يعلى ،و حسنه الألبانى في صحيح الترغيب(576)

[325] وانظر الوعد الأخروي (1/421)قلت : ومن أدلة التفريق بين مطلق الترك و الترك المطلق : حديث : من تركها فقد كفر " ، ومع حديث " أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة .

النبي -صلى الله عليه وسلم - وأصحابه والتابعين في كثير من المواضع مفسراً، لكن الكفر الوارد في الصلاة هو الكفر الأعظم لوجوه:
أحدها: أن الكفر المطلق هو الكفر الأعظم المخرج عن الملة فينصرف الإطلاق إليه وإنما صرف في تلك المواضع إلى غير ذلك لقرائن انضمت إلى الكلام ومن تأمل سياق كل حديث وجده معه وليس هنا شيء يوجب صرفه عن ظاهره بل هنا ما تقرره على الظاهر.
الثاني: أن ذلك الكفر منكر مبهم مثل قوله " وقتاله كفر" وقوله " هما بهم كفر" وقوله " كفر بالله " وما شابه ذلك ، وأما الكفر في أحاديث تارك الصلاة فقد عُرِّف بالألف واللام ، كما في قوله " ليس بين العبد وبين الكفر - أو قال - الشرك " والكفر المعرَّف ينصرف إلى الكفر المعروف وهو المخرج عن الملة.
الثالث: أنه قد ورد في بعض الأحاديث " فقد خرج عن الملة "وفي بعضها " بينه وبين الإيمان " وفي بعضها " بينه وبين الكفر" وهذا كله يقتضي أن الصلاة حد تدخله إلى الإيمان إن فعلها ، وتخرجه عنه إن تركها.
الرابع : أنه خرج هذا الكلام مخرج تخصيص الصلاة وبيان مرتبتها على غيرها في الجملة ولو كان ذلك الكفر فسقا لشاركها في ذلك عامة الفرائض.
الخامس : أنه بيَّن أنها آخر الدين ، فإذا ذهب آخره ذهب كله.
السادس: أنه بيَّن أن الصلاة هي العهد الذي بيننا وبين الكفار، وهم خارجون عن الملة ليسوا داخلين فيها ، واقتضى ذلك أن من ترك هذا العهد فقد كفر كما أن من أتى به فقد دخل في الدين ،ولا يكون هذا إلا في الكفر المخرج عن الملة.
السابع: ما ورد من حديث معاذ ؛ فإن فسطاطاً على غير عمود لا يقوم ، كذلك الدين لا يقوم إلا بالصلاة وفي هذه

الوجوه يبطل قول من حملها على من تركها جاحداً ، وأيضا قوله كانوا لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر وقوله ليس بين العبد وبين الكفر وغير ذلك مما يوجب اختصاص الصلاة بذلك ، وترك الجحود لا فرق فيه بين الصلاة وغيرها ؛ ولأن الجحود نفسه هو الكفر من غير ترك حتى لو فعلها مع ذلك لم ينفعه ، فكيف يعلق الحكم على ما لم يذكر ؛ ولأن المذكور هو الترك وهو عام في من تركها جحوداً أو تكاسلاً ؛ ولأن هذا عدول عن حقيقة الكلام من غير موجب فلا يلتفت إليه.[326] .

قال ابن العثيمين :

لا يصح أن تحمل هذه الأدلة على أن المراد بها كفر دون كفر ، أو أن المراد من تركها جاحداً .

أما الأول : فلأننا لا يحل لنا أن نحمل أدلة الكفر على ذلك إلا حيث يقوم دليل صحيح على منع حملها على الكفر المطلق المخرج عن الملة ، ولا دليل هنا . ولأنه قد قام الدليل على أن المراد به الكفر المطلق المخرج من الملة فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : " بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة " فذكر الكفر معرفاً بال فدل ذلك أنه الكفر المطلق . [327]

***** *قالوا* : أحاديث نجاة أهل التوحيد من النار وحديث الشفاعة فيها دلالة على نجاة تاركي الصلاة من الخلود في النار ؟**

الجواب :

أن أحاديث الشفاعة الذي استدل به من لا يرى كفر تارك الصلاة عام مخصوص بمن قال لا إله إلا الله وأتى مكفراً مثل أن يقول لا إله إلا الله وهو ينكر تحريم الربا ، أو فرضية الصلاة مثلاً ، ونحو ذلك ، لم يخرج من النار بشفاعة ولا غيرها ، فكذلك من قال لا إله إلا الله وترك الصلاة، فإنه لا

---

[326] شرح عمدة الفقه(1/83)

[327] مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين(12/74)

ذ

يخرج من النار بشفاعة ولا غيرها ؛ لأنه كافر ، فأي فرق بين من كفر بجحد فرضية الصلاة مع نطقه بالشهادة ، ومن كفر بترك الصلاة مع نطقه بالشهادة ؟!!
فكما أن الأول لا يدخل في الحديث فكذلك الثاني .بل إن أحاديث الشفاعة نفسها دالة على كفر تارك الصلاة ،كما في قوله – صلى الله عليه وسلم - " حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ اللَّهُ المَلاَئِكَةَ: أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ "[328]

- ***وأيضاً فمما استدلوا به :***

حديث الصحيح : في إخراج أناس من النار لم يعملوا خيراً قط ، ونصه : " فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ" [329] **فعلم أن الذي لم يصل قط فقد أكلته النار كله ، فلم يُعرفه المؤمنون لما أخرجوا أخوانهم من النار فإن قوله : " لم يعمل خيراً قط** " عام يدخل فيه من لم يصل ؛ لأن الصلاة من الخير !!!
والجواب :
أن هذا العموم خُص بالأدلة الدالة على كفر تارك الصلاة ، فيخرج تارك الصلاة من عمومه كما هو الشأن في العمومات المخصوصة .
* **ثم يقال** : "لم يعمل خيراً قط " يؤخذ منه أنه ما أتى بالإخلاص ، الذي هو عمل القلب **، قلتم** : قد دلت النصوص الأخرى على بطلان كلمة التوحيد

---

[328] متفق عليه .
[329] أخرجه مسلم

ذ

بلا إخلاص ، **قلنا** : وكذلك قد دلت النصوص الأخرى على بطلان الإيمان وعدم قبوله بترك الصلاة كلية ، والله أعلم **.** كما أن هذا الحديث إنما هو من نصوص الوعد ، والذي عليه أهل السنة هو الأخذ بنصوص الوعد والوعيد **،**

****** ومما استدلوا به :***

أحاديث فضائل الشهادتين!!! فالجواب عنها : أحدها: أن الزهري لما روى حديث مسلم " فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ " علّق قائلاً : كان هذا قبل أن تنزل الفرائض ، ثم نزلت فرائض نرى أن الأمر انتهى إليها ، فمن استطاع ألّا يغتر فلا يغتر.[330]

الثاني: أنها عامة وأحاديث الصلاة خاصة فيقدم الخاص على العام ، وكما روى الإمام أحمد في مسنده عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من لقي الله لا يشرك به شيئا يصلي الخمس ويصوم رمضان غفر له ، قلت : أبشرهم يا رسول الله ؟ قال " دعهم يعملوا " [331] . وقد عقد ابن خزيمة باباً ذِكْرِ فيه " الدَّلِيلِ أَنَّ جَمِيعَ الْأَخْبَارِ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرَى لَهَا إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ فِي شَفَاعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِخْرَاجِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ مِنَ النَّارِ إِنَّمَا هِيَ أَلْفَاظٌ عَامَّةٌ مُرَادُهَا خَاصٌّ"

قال ابن الوزير :وَلَا شكّ فِي تَرْجِيح النَّص الْخَاص على الْعُمُوم وتقديمه وَعَلِيهِ عمل عُلَمَاء الاسلام فِي أَدِلَّة الشَّرِيعَة وَمن لم يقدمهُ فِي بعض الْمَوَاضِع لم يُمكنهُ الْوَفَاء بذلك فِي كل مَوضِع واضطر إِلَى التحكم والتلون من غير

---

[330] صحيح مسلم (1/455)

[331] أخرجه أحمد(22028)وصححه الألباني .

ذ

حجَّة بَيِّنَة.[332]

الثالث:

أنه صلى الله عليه وسلم قصد بيان الأمر الذي لا بد منه في جميع الأشياء ، والذي قد يكتفي به عن غيره في جميع الخلق وهو الشهادتان ، فإن الصلاة قد لا تجب على الإنسان إذا أسلم ومات قبل الوقت ، وربما أخرها ينوي قضاءها ومات قبل ذلك.

الرابع: قِيلَ لِوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: أَلَيْسَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِفْتَاحُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: «بَلَى، وَلَكِنْ لَيْسَ مِفْتَاحٌ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ، وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ» [333] .

ومعنى قوله (له أسنان. .) أي وأسنان هذا المفتاح فعل ما أمر الله تعالى به وترك ما نهى الله عنه.

فإن استدل المخالف أن تارك الصلاة لا يُكفر؛ لقوله (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)

الجواب :

معنى قوله (ما دون ذلك) ما هو أقل من ذلك ، وليس معناه ما سوى ذلك ، والكفر المخرج عن الملة من الذنب الذى لا يغفر، وإن لم يكن شركاً . (قاله ابن عثيمين).

*** **ومما استدلوا به : *الأحاديث التى أفادت استحقاق الجنة وحرمة النار على كل من قال لا اله إلا الله*** !!!

الجواب :

---

[332] إيثار الحق على الخلق لابن الوزير(1/347) وانظر نواقض الاسلام العملية .

[333] أخرجه البخاري معلقاً . وقد وصله ابن حجر في التغليق ، ثم قال وَقد رُوِيَ هَذَا بِسَنَد ضَعِيف رَوَاهُ الْبَيْهَقِيّ فِي الشّعب من حَدِيث معَاذ بن جبل وَذكر ابْن إِسْحَاق فِي السِّيرَة أَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ للعلاء بن الْحَضْرَمِيّ إِذا سُئِلت عَن مِفْتَاح الْجنَّة فَقل مفتاحها لَا إِلَه إِلَّا الله . وانظر تغليق التعليق (2/454)

عام مخصوص بالأحاديث الدالة على كفر تارك الصلاة ، كما أن هذه الأحاديث التى اشترطت كلمة التوحيد للنجاة من النار قيدت ذلك بإخلاص القصد وصدق القلب ، ومثل هذا التقيد يمنعه من ترك الصلاة ، إذ ما من شخص يصدق فى ذلك ويخلص إلا حمله صدقه وإخلاصه على فعل الصلاة ولابد ، كما أن من هذه الأحاديث ما ورد مقيداً بحال يعذر فيها بترك الصلاة ،ومنها أحاديث آخر الزمان حينما تدرس معالم الإسلام ولا يبقى إلا كلمة التوحيد فإن هؤلاء ينجون بكلمة التوحيد ويُعذرون بترك الشرائع لأن التكاليف فرع على العلم .

*** ومما استدلوا به : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ "[334] فحص الأعمال التي يقع بها الكفر ، والتي يترتب عليها القتل بهذه الأمور الثلاثة ، فخرج من ذلك ترك الصلاة !!!

***** وجواب ذلك من وجوه :**

الأول : قد دلت النصوص على كفر تارك الصلاة ، وعليه فهى مخصصة لعموم حديث : لا يحل دم امرى مسلم .....

الثاني: أن هذا الحديث قد بيَّن سبب عصمة الدماء ،وهى الشهادة ،ولكن هذا السبب له شروط لابد من توافرها حتى يكون نافعاً لصاحبه ،فمن شروطها ألا يفعل مكفراً ينقض هذا السبب ، والتى منها ترك الصلاة **.**

***** قالوا** : تارك الصلاة نَأْمُرُهُ أَنْ يُصَلِّيَ ، وَلَا نَأْمُرُ كَافِرًا بِالصَّلَاةِ، وَلَوْ كَانَ بِمَا كَانَ مِنْهُ كَافِرًا لَأَمَرْنَاهُ بِالْإِسْلَامِ، فَإِذَا

---

[334] متفق عليه

ذ

أَسْلَمَ أَمَرْنَاهُ بِالصَّلَاةِ، وَفِي تَرْكِنَا لِذَلِكَ وَأَمْرِنَا إيَّاهُ بِالصَّلَاةِ مَا قَدْ دَلَّ عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ!! [335]

وجواب ذلك فيما قاله ابن تيمية : وَمَنْ كَفَرَ بِتَرْكِ الصَّلَاةِ الْأَصْوَبُ أَنَّهُ يَصِيرُ مُسْلِمًا بِفِعْلِهَا مِنْ غَيْرِ إعَادَةِ الشَّهَادَتَيْنِ؛ لِأَنَّ كُفْرَهُ بِالِامْتِنَاعِ كَإِبْلِيسَ ا.هـ[336]

وقال ابن القيم :

أورد شيخنا الهراسي سؤالاً على القول بكفر تارك الصلاة وزعم أنه لا جواب عنه فقال: "إذا أراد هذا الرجل معاودة الإسلام فبمإذا يسلم فإنه لم يترك كلمة الإسلام؟ فأجابه ابن عقيل بأن قال: إنما كان كفره بترك الصلاة لا بترك الكلمة فهو إذا عاود فعل الصلاة صارت معاودته للصلاة إسلاما فإن الدال على إسلام الكافر الكلمة أو الصلاة".

قلت: وهذا الذي ذكره شيخنا يرد عليه في كل من كفر بشيء من الأشياء مع إتيانه بالشهادتين وتلك صور عديدة.[337]

****** والحاصل فى مسألة حكم تارك الصلاة :***

أن الخلاف فى هذه المسألة من الخلاف السائغ ، فقد نص الأئمة على أن القول بعدم كفره هو من أقوال العلماء ، وقد نقل هذا الخلاف فى المسألة غير واحد من أهل العلم ، منهم ابن حزم وابن تيمية وابن عبد البر والنووي. [338]

[335] انظر مشكل الأثار(8/206)

[336] الفتاوى الكبرى (5/318)

[337] بدائع الفوائد (3/176)

[338]وقد نقل شيخ الاسلام قول جمهور السلف من الصحابة و التابعين بتكفير تارك الصلاة ،ثم نقل خلاف السلف فى تكفير تارك الصلاة بين أحمد و غيره وقال هذه أقوال معروفة للسلف . ففى هذا رد على من زعم ان الخلاف فى تكفير تارك الصلاة هى خلاف من أهل السنة و أهل البدعة .

وأما من جعل ذلك من الخلاف الغير مُعتبر فقد أتى بمحدث من القول ، فليس له سلف فى ذلك إلا الخوارج . وأما أهل السنة فلا يوجد منهم من يزعم أن الخلاف فى المسألة بدعة أو ضلال أو قول بالإرجاء .وعليه فإن القول بعدم كفر تارك الصلاة ليس بقول المرجئة ؛ فإن ابن القيم نقل في كتاب (الصلاة وحكم تاركها) القول بعدم كفر تارك الصلاة عن عمربن عبد العزيز والزهري,وهو قول مالك والشافعي والرواية التي رجحها ابن بطة عن أحمد ، وقال أنها المذهب الذي لا يصح عن أحمد غيره ، وكذلك رجحه ابن قدامة ، وهو قول عامة متأخري المذاهب الأربعة ، فهل يقال أن هؤلاء مرجئة ؟!!

-قال ابن القيم:-

ومن العجب أن يقع الشك في كفر من أصر علي تركها ودُعي إلي فعلها علي رؤوس الملأ ، وهو يري بارقة السيف علي رأسه ، ويشد للقتل وعصبت عيناه، وقيل له تصلي أو قتلناك فيقول اقتلوني ولا أصلي أبداً ا.هـ .[339]

فتبين بذلك أن قوله – رحمه الله - بكفر تارك الصلاة كفراً مخرجاً من الملة إنما يكون لمن عُرض على السيف فأصر

كما نص على ذلك شيخ الاسلام ،فقال : وَقَدْ اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بِالشَّهَادَتَيْنِ فَهُوَ كَافِرٌ ، وَأَمَّا الْأَعْمَالُ الْأَرْبَعَةُ فَاخْتَلَفُوا فِي تَكْفِيرِ تَارِكِهَا وَنَحْنُ إذَا قُلْنَا : أَهْلُ السُّنَّةِ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ بِالذَّنْبِ فَإِنَّمَا نُرِيدُ بِهِ الْمَعَاصِيَ كَالزِّنَا وَالشُّرْبِ وَأَمَّا هَذِهِ الْمَبَانِي فَفِي تَكْفِيرِ تَارِكِهَا نِزَاعٌ مَشْهُورٌ ا.هـ مجموع الفتاوى (7/302)

وكذا قال النووي: وَإِنْ كَانَ تَرَكَهُ تَكَاسُلًا مَعَ اعْتِقَادِهِ وُجُوبَهَا كَمَا هُوَ حَالُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ فَقَدِ ***اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِيهِ،*** فَذَهَبَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَالْجَمَاهِيرُ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفُ إِلَى أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ، بَلْ يَفْسُقُ وَيُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قَتَلْنَاهُ حَدًّا كَالزَّانِي الْمُحْصَنِ ، وَلَكِنَّهُ يُقْتَلُ بِالسَّيْفِ ، وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ إِلَى أَنَّهُ يَكْفُرُ وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَهُوَ إِحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ عَنْ أَحْمَدَ ، وَبِهِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ وَهُوَ وَجْهٌ لِبَعْضِ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَذَهَبَ أَبُو حَنِيفَةَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالْمُزَنِيُّ صَاحِبُ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ وَلَا يُقْتَلُ بَلْ يُعَزَّرُ وَيُحْبَسُ حَتَّى يُصَلِّيَ .شرح مسلم (2/70)

[339] الصلاة وحكم تاركها (ص/63)

ذ

على الترك ، وعلة ذلك أن هذا الإصرار يدل على انتفاء الايمان من القلب ،وهو قول الحنابلة يُكفر إذا دُعي إليها فأبي وهو قول محمد عبد الوهاب والشوكاني.

- يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب:-

أركان الإسلام الخمسة أولها الشهادتان ثم الأركان الأربعة ، فالأربعة إذا أقر بها وتركها تهاوناً ،فنحن وإن قاتلناه علي فعلها ، فلا نكفره بتركها ، وقد اختلف العلماء في كفر التارك لها كسلاً من غير جحود ، ولا نكفر إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم وهو الشهادتان .ا.هـ

***** وقد جاء في فتاوى اللجنة الدائمة*** :

وإنْ ترك الصلاة وحدها كسلاً وفتوراً فهو كافر كفراً يخرج به من ملة الإسلام في أصح قولي العلماء، ومن قال من العلماء: إنه كافر كفراً عملياً لا يخرجه عن حظيرة الإسلام بتركه لهذه الأركان يرى أنه أهل للشفاعة فيه وإن كان مرتكباً لِمَا هو من الكبائر إن مات مؤمناً.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. ***قلت :*** فقد جعلوا القول بعدم كفر تارك الصلاة من أقوال العلماء .

تم بحمد الله /8جمادثاني/1435- 8إبريل2014 م

.

.

الفهرس

ذ